

الباب الأول

أرسطو حياته وكتابه المفقودة

تمهيد

إذا كانت بلاد اليونان قد قدمت أعظم مفكرى وفلاسفة العصر القديم فإن أرسطو يعد بلاشك ظم هؤلاء الفلاسفة ، وإذا كنا نتناول فكر الرجل بالدراسة فى هذا البحث فإنه يجب الأخذ فى اعتبار أن هذا الفكر لم يكن وحيا ولم يأت من فراغ ؛ ولذلك فإن الطريق أو المنهج السليم لدراسة - أرسطو أن نتعرف أولا على أرسطو ، ولكى نتعرف على أرسطو يجب علينا أولا أن نتعرف على بيئة التى شكلت هذا الفكر . والبيئة لا تعنى فقط البيئة الطبيعية وإنما تعنى البيئة السياسية أو ناخ السياسى والظروف الاجتماعية والاقتصادية والمناخ العلمى العام السائد فى بلاد اليونان الك؛ ومن ثم فإن الطبيعة الجغرافية لبلاد اليونان قد خلقت جوا من الاستقلال والاعتزاز بالقومية ، تمركزت فى نطاق مدينة الدولة وهو النظام السياسى الذى تفردت به بلاد اليونان وأثرى الحياة ياسية بالعديد من النظم والديساتير المنظمة للحياة العامة ، ولكن عندما تعرضت هذه المدن طر الفارسى اتحدت فيما بينها وتصرفت بنزعة قومية يونانية ، ولكن عندما تلاشى هذا الخطر ت إلى إقامة التحالفات ، واندلعت الحروب فيما بينها ، وكان ذلك إيذانا بضعف هذا النظام هوره وخضوع المدن اليونانية تباعا للسيطرة المقدونية .

وفى الوقت الذى كانت تتعرض فيه أثينا للضعف السياسى والعسكرى كانت الحياة الفكرية علمية مزدهرة بشكل لافت للنظر وصارت أكاديمية أفلاطون ومدرسة أيزوقراط مقصدا للمتعلمين ثقفين من بلاد اليونان . ويجب الأخذ فى الاعتبار أن دور هاتين المؤسستين لم يقتصر على ر الثقافى والتعليمى ولكن كان من أهم أهدافهما هو إعداد القادة والسياسيين .

لم يكن من المتوقع أن يصير أرسطو فيلسوفا أو مفكرا ولكن كانت أسرته تعده لى يصبح ا ، ولكن شاء حظه أن يموت والده وتنتهى علاقته بالطب لتكون نقطة فاصلة فى حياته فقد ت اهتماماته وبدأ يتجه لدراسة العلوم العامة وتنقلب به الأحوال إلى أن التحق بالأكاديمية طونية . وهكذا يمكن القول إن أرسطو ابن بيئته وابن عصره ؛ ولذلك فقد تم تقسيم هذا الباب لثلاثة فصول :

الفصل الأول بعنوان : " حياة أرسطو وتكوينه العلمى والسياسى "
ويتناول هذا الفصل الأوضاع السياسية والفكرية فى بلاد اليونان والفترة المبكرة من حياة
أرسطو وفترة تتلمذه فى الأكاديمية الأفلاطونية ، والنشاط العلمى الذى قام به فى جزيرتى آسوس
ولسبوس ، ثم انتقاله للإشراف على تعليم الإسكندر ، ثم عودة أرسطو إلى أثينا وإنشاء الليكيون .
الفصل الثانى بعنوان " المحاورات الأرسطية ، وتطورها والتواريخ المحتملة لإصدارها "
ويهتم هذا الفصل بخصائص المحاور الأرسطية وأوجه التوافق والاختلاف بين المحاور
الأفلاطونية والمحاور الأرسطية ، وكذلك الفرق بين الأعمال التى كتبها أرسطو للخاصة وتلك التى
كتبها للعامة .

الفصل الثالث بعنوان : " انتقال أعمال أرسطو إلى الغرب الأوروبى "
ويتناول أوضاع مدرسة المشائين بعد وفاة أرسطو ومصير مكتبة المدرسة ، وترجمة أعمال
أرسطو إلى اللغة اللاتينية .

الفصل الأول

حياة أرسطو

وتكوينه العلمى والسياسى

- أولا : الأوضاع السياسية والفكرية فى بلاد اليونان .
- ثانيا : أكاديمية أفلاطون .
- ثالثا : الفترة المبكرة من حياة أرسطو .
- رابعا : دور الأكاديمية فى الحياة السياسية .
- خامسا : التحاق أرسطو بأكاديمية أفلاطون .
- سادسا : وفاة أفلاطون ورحيل أرسطو عن أثينا .
- سابعا : النشاط العلمى لأرسطو فى جزيرة آسوس ولسبوس .
- ثامنا : مشاركة أرسطو فى الإشراف على تعليم الإسكندر .
- تاسعا : العودة إلى أثينا وإنشاء الليكيون .
- عاشرا: وفاة الإسكندر ورحيل أرسطو عن أثينا
- حادى عشر : وصية أرسطو

الفصل الأول

حياة أرسطو وتكوينه العلمى والسياسى

أولاً : الأوضاع السياسية والفكرية فى بلاد اليونان :

تشكلت بلاد اليونان القديمة من ثلاثة أقاليم رئيسة هى : القسم الجنوبى من شبه جزيرة البلقان ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه اسم بلاد اليونان الأصلية ، ثم مجموعة الجزر الكثيرة التى تتركز فى بحر إيجه ، ثم الشريط الساحلى لآسيا الصغرى الذى هاجر إليه اليونانيون وحولوه إلى منطقة يونانية . ومع بداية القرن الثامن قبل الميلاد بدأ نظام دولة المدينة فى الظهور والانتشار بحيث تصبح كل منطقة كيانا مستقلاً قائماً بذاته يكون محوره فى العادة مدينة واحدة يحيط بها امتداد محدود من الأرض الزراعية . وربما شجعت الطبيعة الجغرافية لبلاد اليونان على ظهور هذا النظام الذى تطور سياسياً من نظام الحكم الفردى إلى نظام الحكم الشعبى . وحرصت هذه المدن على سيادتها واستقلالها وصارت لها حضارة متميزة فى الفن والأدب والفلسفة والعمارة والنظم السياسية والعسكرية . وهكذا وجدت مدن العالم اليونانى أنها تتميز عن كل الحضارات المعاصرة ومن ثم فقد أطلقوا اسم بربرى على كل من لا يقيم داخل هذه المدن¹ .

وعندما ازداد عدد السكان فى دولة المدينة عن قدراتها الاقتصادية بدأت هذه المدن فى التوسع وتأسيس مستعمرات لها خارج حدودها وغالبا ما كانت هذه المستعمرات فيما وراء البحار . والمستعمرة اليونانية عبارة عن مجموعة منظمة من المواطنين تم إرسالهم من احدى المدن اليونانية لتأسيس مدينة جديدة ، وتسمى المدينة التى خرج منها المستوطنون بالمدينة الأم . وفى

¹N.G.L.Hammond , The Classical Age of Greece, London (1975), pp.3-12;

And See Also: Raphael Sealey, A History of the Greek city states, california (1976),pp.10-25;
Michael H.Crawford , Archaic and classical Greece , London (1983),pp. 1- 4 .

المدينة الجديدة يتم تطبيق النظم السياسية والدستورية السائدة ، ومن ثم يمكنها أن تتصرف كدولة مستقلة . ومع ذلك فإن بعض المستعمرات ظلت روابطها قائمة مع المدن الأم^١ .

اتحدت المدن اليونانية في حربها ضد الفرس في النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد ، وبفضل القوات البرية الفاتكة لاسبطة والقوة البحرية المتميزة لأثينا ؛ تمكنت المدن اليونانية من تحقيق الانتصار على الامبراطورية الفارسية ، وانحسار الخطر الفارسي عن بلاد اليونان الأوربية ، ولكن ظلت المدن اليونانية الآسيوية تحت السيطرة الفارسية . وفي تلك الظروف بدأت أثينا تتطلع لممارسة دور الزعامة بين المدن اليونانية والعمل على حماية هذه المدن من السيطرة الفارسية ، فقامت بتكوين حلف من أغلب المدن اليونانية الواقعة على بحر إيجه عرف باسم حلف ديلوس^٢ وكان الهدف الرئيس من إقامة الحلف هو التصدي لأي تحرك من جانب الإمبراطورية الفارسية ، ونجحت جهود الحلف في تحرير القسم الجنوبي من المدن اليونانية الآسيوية . ورأت بعض المدن الأعضاء أن الحلف بذلك يكون قد حقق الهدف من إنشائه ، ومن ثم فلا داعي لاستمرارها في التحالف ، ولكن أثينا قابلت ذلك بالعمل على تحويل حلف ديلوس بالقوة إلى إمبراطورية وإجبار الدويلات الإغريقية على الخضوع لسلطانها . وقد نظرت اسبرطة بعين الشك والحذر لهذه السياسة واعتبرت هذا السلوك الأثيني تهديدا مباشرا لها ولنسياستها ، خاصة وقد تمادت أثينا في سياستها بالتحرش بحلفاء اسبرطة ، الأمر الذي عجل بقيام الحرب بين الحلفين ؛ حلف ديلوس بزعماء أثينا وحلف البلوبونيز بزعماء اسبرطة^٣ وقد استمرت هذه الحرب زهاء سبعة وعشرون عاما (٤٣١-٤٠٤ ق.م) واعتمدت كل من القوتين على نواحي تفوقها فاتجهت اسبرطة إلى الاعتماد على قوتها البرية المدربة ، وفرض القتال البري على الأثينيين ، بينما اعتمدت أثينا على تفوق أسطولها في تحقيق السيادة البحرية مع الحرص على تجنب الدخول في معارك برية ضد

^١ Sealey : Op.Cit , p.30,31 .

^٢ كانت جزيرة ديلوس التي بنسب إليها الحلف مركزا للعبادة والاحتفال للجزر المجاورة ولأهل أثينا والإغريق الأيونيين في شرق بحر إيجه ، ومن ثم فإنها كانت رمزا للوحدة .

See: Anton Powell , Athens and Sparta , London (1989) p.28 note 8 .

^٣ Sealey, Op.Cit, pp.304 – 313 .

الجيوش الاسبرطية^١. وقد استمرت الحرب متكافئة وغير حاسمة بين الفريقين إلى أن تحالفت اسبرطة مع فارس وتمكنت من تدمير الأسطول الأثيني ، ومن ثم لم يكن أمام أثينا سوى الاستسلام لشروط الصلح الذي فرضته اسبرطة مع أن اسبرطة لم تستجب لمطالب بعض حلفائها بتدمير أثينا وقتل جميع السكان البالغين واستعباد الباقين ، وتحولت أثينا من زعيمة لأول إمبراطورية يونانية إلى مدينة خاضعة^٢ .

انفردت اسبرطة بالزعامة في العالم الإغريقي غداة انتصارها في حرب البلوبونيز ، وسعت لمدة ثلاثين عاما إلى تكوين إمبراطورية اسبرطية وذلك بإحكام سيطرتها على كل المدن التي كانت من قبل ضمن الإمبراطورية الأثينية إلى جانب المدن التي كان يضمها حلف البلوبونيز ، وتنكرت للشعارات التي طالما رفعتها بحق المدن الإغريقية في الحرية ، فاستولت على مدن كثيرة وألزمها بدفع جزية سنوية وقبول حكومة عميلة لاسبرطة . وقد اتصفت هذه السيطرة بقدر كبير من الصرامة التي مارسها حكام اسبرطة على المدن التي خضعت لها وبخاصة في آسيا الصغرى ، وقد فاقت - بكثير - ما كانت تعانيه هذه المدن أثناء حكم الإمبراطورية الأثينية مما أشاع السخط بين هذه المدن وأدى إلى قيام عدد من المصادمات العسكرية بين اسبرطة وبعض المدن اليونانية الآسيوية . ودب الخلاف بين حلفاء الأمس واعترضت كورنثة وطيبة على سياسة اسبرطة تجاه أثينا والمدن الأخرى ، إلى جانب ذلك غضبت المدن الإغريقية من اسبرطة لخيانتها لقضية حرية أشقائهم في آسيا الصغرى عندما تخلت عنهم للفرس^٣ .

فشلت اسبرطة في الحفاظ على المكاسب التي حققتها بانتصارها في حرب البيلوبونيز ، كما فشلت في تحقيق مشروعها بتكوين إمبراطورية اسبرطية ، في الوقت الذي بدأت فيه بعض المدن

^١ د.فوري مكاوى : تاريخ العالم الإغريقي وحضارته ، دار الرشد الحديثة ، الدار البيضاء ط١ ، المغرب (١٩٨٠) ص ١٦٤ .

^٢ J.T.Hooker, The Ancient Spartans, London (1980) p.209 .

And See Also : W.S.Ferguson " The Fall of The Athenian Empire", in The cambridge Ancient History, edited by J.B.Bury, F.E.Adcock, Cambridge, 1969, V,pp.361-364 ; Powell, Athens .

^٣ M.Cary " The second Athenian League " in The cambridge Ancient History, Volume , VI ,pp.59-64 .

اليونانية الأخرى تتطلع إلى الزعامة . أما أثينا فكانت تضمد جراحها وتحاول النهوض وتكوين حلف جديد على غرار حلف ديلوس الذى كونته فى القرن الخامس^١ وقد فشلت هذه المشروعات كلها فقد تمكنت طيبة من تحطيم القوة العسكرية الاسبرطية فى سنة ٣٧١ ق.م^٢. ولكنها فى نفس الوقت لم تنجح فى توحيد بلاد اليونان وذلك لأنها كانت تفتقر إلى مقومات الدولة الزعيمة حضاريا واقتصاديا^٣. كما فشلت أثينا أيضا فى سياستها مع المدن التى تحالفت معها عندما عادت إلى سيرتها الأولى فى معالجة حلفائها وكأنهم أصبحوا مدنا خاضعة لها فى امبراطورية جديدة وبخاصة حين بدأت بعض هذه المدن تحاول الخروج من الحلف بعد زوال الخطر الاسبرطى^٤.

والملاحظ أنه خلال تلك الفترة كان نظام المدينة الدولة السائد فى بلاد اليونان يمر بأزمة طاحنة لم يبق منها أبدا وذلك أن المدن الدول هذه عندما تهددها الخطر الفارسى كانت تتصرف بنزعة يونانية قومية ، وعندما تلاشى هذا الخطر لجأت إلى إقامة التحالفات فيما بينها لتحقيق مصالحها الخاصة أى أنها بدأت تفكر بنزعة محلية قادتها فى النهاية إلى محاولة كل دولة الاكتفاء بذاتها داخل حدودها واستقلالها عن بقية المدن الأخرى . ومغزى ذلك أن نظام دولة المدينة قد ترك أثره بصفة قاطعة لصالح النزعة الانفصالية على حساب أى اعتبار أمنى فى مواجهة التهديدات الخارجية ، وأن احتداد النزعة الانفصالية إلى نقطة اللاعودة لم يكن المظهر الوحيد من مظاهر التدهور الذى انحدرت إليه المدن اليونانية فى القرن الرابع إنما تجاوز ذلك إلى الحياة الاقتصادية . فقد تدهورت الموارد الاقتصادية لهذه المدن مما أثر سلبا على النظم العسكرية فيها^٥ وقد انعكس كل

^١ عن تكوين التحالف الكونفدرالى وقواعده أو ما نطلق عليه الإمبراطورية الأثينية الثانية

See: Saeley , Op. Cit., pp.410 – 412 .

Cary , The second Athenian League , pp.72, 73 .

^٢Crawford, Archaic and Classical Greece , pp.514, 515 .

See Also : J.T.Hooker, The Ancient spartans , pp.226 – 227 .

^٣ M.Cary “ Thebes” , in The Cambridge Ancient History, VI, PP.92-96.

^٤ عن مرحلة تدهور العلاقات بين أثينا وحلفائها ، انظر :

أنظر : د.مفيد رائف العابد : تاريخ الإغريق ، منشورات جامعة دمشق ، دمشق ، سوريا، ١٩٩٤ ، ص ١٨٢-١٨٤ . .

^٥ د. لطفى عبد الوهاب : اليونان ، مقدمة فى التاريخ الحضارى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ١٧٨-١٨٠ .

ذلك على الجانب السياسى من حياة دولة المدينة فى القرن الرابع قبل الميلاد . وفى هذا الصدد فإن العلاقة بين الطبقات الموسرة والطبقات المعوزة فى داخل كل مدينة لم تعد تشكل حوارا أو كفاحا أو حتى صراعا يستهدف تطوير الوضع العام فى مجتمعات هذه المدن توصلا إلى نظام سياسى شامل وإنما تحول إلى مجرد صراع عضوى فى سبيل الحصول على مكاسب مؤقتة وقصيرة المدى دون ارتباط بأى مبدأ سياسى محدد بحيث صار الأمر أقرب ما يكون إلى التخبط الفوضوى منه إلى الحوار أو التطور السياسى^١ .

وفى وسط هذا التدهور الاقتصادى والضعف والتخلخل العسكرى والسياسى الذى أصاب المدن اليونانية ، كان الخطر المقدونى هو العامل المهم الذى أدى إلى تدهور نظام دولة المدينة . كان الإغريق ينظرون إلى سكان مقدونيا نظرتهم إلى غيرهم من الشعوب الأجنبية المتخلفة ، ولم يعترفوا بهم كأغريق . وظل هذا الوضع حتى عام ٤٩٦ ق.م عندما تمكن الإسكندر الأول المقدونى بإقناع المدن اليونانية بأن المقدونيين ينحدرون من أصول يونانية وبأحقيتهم فى الاشتراك فى الألعاب الأولمبية^٢ ومع ذلك فقد ظلت الفكرة القديمة عن نسبة المقدونيين إلى البرابرة مسيطرة على العقلية الإغريقية على المستويين الشعبى والرسمى ، فقد استمر بعض الفلاسفة والخطباء فى أثينا مثل السوفسطائى Thrasymachus فى أواخر القرن الخامس يشير إلى الملك أرخيلاعوس كبربرى ، كما كان أيزوقراط الخطيب فى القرن الرابع يشير إلى المقدونيين على أنهم برابرة^٣ وعلى المستوى الرسمى ظهر ذلك - مثلا - فى قرار تشكيل الاتحاد الكونفدرالى بين أثينا وحلفائها عام ٣٧٨ ق.م حيث نص على السماح بانضمام الإغريق وغير الإغريق إلى هذا الاتحاد وكان المقصود بهذه الإشارة سكان تراقيا ومقدونيا^٤ .

^١ د. لطفى عبد الوهاب : اليونان مقدمة وى التاريخ الحضارى ، ص ١٨٠ .

^٢ George Cawkwell, Philip of Macedon , London (1978) p.22 .

^٣ Cawkwell , Philip of Macedon , p.22 .

^٤ د. هورى مكاوى : تاريخ العالم الإغريقى وحضارته ، ص ٢١٥ .

وعندما اندلعت الحرب البلوبونيزية بين أثينا واسبرطة عام ٤٣١ ق.م، وغرقت بلاد اليونان فى فوضى هذه الحرب كان موقف مقدونيا مذبذبا ، فلم تعلن تأييدها صراحة لأى من الجانبين . إلا أن هذه الحرب زادت من ارتباط مصير مقدونيا بالدويلات الإغريقية ، كما استغل أرخيلاءوس ملك مقدونيا انشغال أثينا واسبرطة بالمعارك الطاحنة فيما بينهما وقام ببناء دولته اقتصاديا وعسكريا، وعمل على الأخذ بأسباب الحضارة اليونانية مستعينا ببعض الخبراء من الإغريق^١ . كما كانت مقدونيا من الناحية الاقتصادية تشكل امتدادا كبيرا من الأراضي ذات الموارد الغنية والمتنوعة التى تصلح قاعدة راسخة لدولة قوية . فقد كانت هذه الأراضي تضم عددا غير قليل من المناجم ومساحات كبيرة من الغابات الكثيفة التى يمكن أن تدعم صناعة ضخمة فى بناء السفن ، كما وجدت فيها امتدادات مترامية من الحقول الخصبة المنتجة للحبوب ، ومن المراعى الواسعة التى كانت تربي عليها الخيول والماشية والأغنام^٢ . وهكذا نجد أن مقدونيا كان لديها كل مقومات الدولة القوية .

توفى الملك أرخيلاءوس فى عام ٣٩٩ ق.م وتولى بعده الملك أمونتاس الثانى الذى واجه الكثير من المشاكل ، كما واجه أيضا مشاكل من داخل أسرته أدت إلى مصرعه سنة ٣٦٩ ق.م لتمر مقدونيا بفترة من الفوضى والصراع على السلطة لعبت فيه الملكة الأم دورا مشبوها ضد أبنائها . وفى ظل هذه الظروف طلبت مقدونيا المساعدة من أثينا ، غير أن مدينة طيبة التى كانت فى أوج قوتها قد استبد بها القلق من تدخل أثينا فى شئون مقدونيا ، وخافت على مصالحها فى المنطقة إذا ما تم التحالف بين أثينا ومقدونيا ، ومن ثم سارعت بإرسال حملة إلى حدود مقدونيا عام ٣٦٧ ق.م^٣ . وتجنبنا للصدام مع طيبة وتهدة لمخاوفها ، قامت الملكة الأم بإرسال ابنها فيليب ليكون رهينة

^١John Ferguson , Aristotle , Boston (1972) pp.14,15

^٢د.لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ١٨٢-١٨٣ .

^٣A.W.Pickard “ The Rise of Macedonia “, in The cambridge Ancient History, Volume , VI, pp.203, 204.

عند طيبة كتأكيد لحسن النوايا المقدونية . وقد أقام فيليب ثلاث سنوات فى طيبة تدرّب أثناءها على فنون الحرب والقتال^١ .

عاد فيليب إلى مقدونيا بعد أن تحسنت العلاقات مع طيبة ، وقام بمساعدة أخيه الملك برديكاس فى شئون الحكم والإنتقام من قتلة والدهما . على أية حال انتهت هذه الفترة بمصرع الملك برديكاس وانتقال العرش إلى ابنه الرضيع تحت وصاية فيليب . ونظرا لوجود الكثير من المشاكل الداخلية قام فيليب بإعلان نفسه ملكا على مقدونيا فى سنة ٣٥٩ أو ٣٥٨ ق.م وكان يبلغ من العمر آنذاك ثلاثة وعشرين عاما^٢ وسرعان ما راح يتخلص من المطالبين بالعرش ويعيد الرسوخ والاستقرار لعرشه واستكمال الوحدة السياسية المقدونية ، كما قام بتطوير القوات العسكرية من مجرد ميليشيات متفرقة إلى جيش مركزى قوى قادر على الحركة والعمل خارج الحدود . وقد أدخل فيليب على هذا الجيش نظام الفيلق Phalanx المكون من المشاة الخفيفة والمشاة الثقيلة التى تجمع بين قوة التسليح ومرونة الحركة ، ويدعم هذه القوات فرق الفرسان المنظمة تنظيما جيدا^٣ .

فى الوقت الذى أقام فيه فيليب دولة موحدة على كل مقدونيا كانت الخلافات لازالت قائمة بين الدول اليونانية مما شجع فيليب على تبنى سياسة توسعية بهدف أن يجعل من مقدونيا سيده لبلاد الإغريق وقائدة لحلفهم ، ومن ثم أخذ يعمل على هدم التحالف الذى أقامته أثينا المعروف بالإمبراطورية الأثينية الثانية حتى يبني إمبراطوريته على أشلائها . كما رأى فيليب أن اندلاع الثورة بين المتحالفين سوف يشغل أثينا عن توسعاتها فى مقدونيا وتراقيا^٤ . وهكذا بدأ فيليب بغزو المدن اليونانية منتهزا الانقسامات المستمرة بين هذه المدن وكانت سياسته تقوم على إعلان الحرب على

^١Cawkwell , Philip of Macedon , p.27.

And See Also : Pickard , The Rise of Macedonia , p.204.

Hammond , The Classical Age of Greece , p.244 .

^٢J.R.Ellis, Philip II And Macedonian Imperialism , London (1976) pp 45 – 47.

And See Also : Hammond , Op.Cit , p.244.

^٣Pickard , The Rise of Macedonia , p.204 .

وأضا : د.لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق، ص١٨٣ .

^٤د.سيد الناصرى ، الإغريق وحضارتهم ، دار النهضة العربية ، بيروت : ١٩٧٧ ، ص ٤١٦ .

بعض المدن ومهادنة المدن الأخرى ، وحين تنبهدت كل من أثينا وطيبة إلى خطورة هذه السياسة وقامت بتوحيد جيوشهما لمواجهة الغزو المقدوني كان الوقت قد فات وبالرغم من هذا استطاع الجيش المقدوني أن ينزل بالقوات المتحالفة هزيمة ساحقة عند خايرونية Chaeronea في سنة ٣٣٨ ق.م ومن ثم تفكك الحلف البحري ودانت بلاد اليونان للسيطرة المقدونية^١ .

وبعد أن تأكدت لفيليب السيطرة العسكرية دعا إلى عقد مؤتمر عام للمدن الإغريقية ، وقد استجابت جميعها لهذه الدعوة باستثناء اسبرطة ، وعرض فيليب إقامة معاهدة تحالف فيما بينهم ، وقد نجحت سياسة فيليب في هذا الشأن ؛ لأنه بموجب هذه المعاهدة تم القضاء لأول مرة على الصراعات المحلية بين الدويلات الإغريقية ، كما تم اختياره ليكون قائدا عاما لكل المدن اليونانية^٢ .

وهكذا توحدت بلاد اليونان لأول مرة في هذا التحالف الذي تزعمته مقدونيا، ولكن يمكن اعتبار ذلك دلالة على نهاية نظام دولة المدينة الذي فشل في تحقيق أي صيغة للوحدة بين المدن اليونانية أو حتى إقامة علاقات سليمة بينهما . ومن ثم فإن موقعة خايرونية كانت عبارة عن الفترة المناسبة التي ظهرت فيها النتيجة المنطقية لتدهور هذا النظام . والحقيقة أن فيليب لم يقض على نظام دولة المدينة ، فقد أبقى المدن اليونانية كما هي بمجالسها التشريعية ، ولكن هذه المجالس لم تعد قادرة على القيام بمهامها ، كما أن الحلف الهليني لم يكن هو الآخر تعبيرا حقيقيا عن الإرادة الجماعية للمدن اليونانية ، ومع ذلك فإن الزعامة الإجبارية لمقدونيا وللملك المقدوني والسيطرة على هذا الحلف كان أمرا مفروغا منه^٣ .

^١Ellis, Philip II And Macedonian Imperialism, pp.197-199 .

And See Also : Cawkwell, Philip of Macedon, pp.144-148 ; - A.W.Pickard " Macedonia supremacy in Greece "in The Cambridge Ancient History , Volume, V pp.261-263 .

^٢Pickard , Macedonia Supremacy , pp.266,276 .

And See Also : Sealey , Greek City States , pp.490-491 .

Harnblower , The Greek world , pp.257-260 .

وأياضا : د.لطفى عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

^٣د.لطفى عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

وعلى الرغم من الهزائم التي حلت بأثينا في حربها ضد اسبرطة وكذلك ضد مقدونيا ، فإن المنتصرين قد عاملوا أثينا معاملة خاصة فلم يدمروها كما هو معتاد في تلك الأحوال أو يبيعوا أسراها في أسواق الرقيق ولكنهم قدروا لها دورها الريادي في الحضارة والثقافة اليونانية^١ .

تأثرت الحياة الفكرية والثقافية في أثينا بهذه المتغيرات السياسية الحادة والمتلاحقة ، وقد أثر ذلك في نوع الكتابة الأدبية ، كما أثرت هذه الظروف وتأثرت بتفكير فلاسفة العصر ومفكروه . فقد أدى ضعف دولة المدينة وفقدان الإحساس بروح الجماعة إلى توقف الأعمال الشعرية الكبيرة مع نهاية الحروب البلوبونيزية ، وتميز القرن الرابع بالعقلانية والكتابة النثرية وليس بالحماسة والكتابات الشعرية^٢ . وبتفوق النثر على الشعر برز رواد الكتابة النثرية من الأثينيين مثل اكسينيفون وأفلاطون وأيزوقراط وغيرهم ، وصارت أثينا مقصدا للمثقفين من أنحاء بلاد اليونان^٣ .

ولم يكن الفلاسفة بمعزل عن معترك الحياة السياسية والعسكرية فقد عاصر سقراط الحرب البلوبونيزية وشارك في أكثر من حملة في هذه الحرب ويذكر أنه كان جنديا من جنود المشاه ذوى التسليح الثقيل في مدينة أمفيبولس^٤ وقاتل بشجاعة وخاطر بحياته أكثر من مرة لإنقاذ رفاقه^٥ كما

^١Sealey , Greek City States, pp.378,490 .

وأصلاً : - سيد الناصري ، الاعري ، ص ٣٥٧ ، ٣٦٢ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ .

^٢Hammond , the Classical Age , p.238 .

^٣Ibid., p.284 .

^٤Diogenes Laertius, Lives Eminent Philosophers, translated by R.D.Hicks, M.A, London 1925, I,P 153; A.E.Taylor, Socrates, New York (1979) p.42

عن الدور العسكري الذى قام به سقراط في حملات حرب البلوبونيز أنظر :

الفرد ادواردتيلر : سقراط ترجمة . محمد بكر حليل ، مراجعة د. زكى نجيب محمود ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٠١ .

^٥ Diogenes Laertius, Op. Cit., I,P.153.

And See Also : Plutarch's Lives, translated by Bernadott Perrin,in eleven Volumes London, 1986, IV,P.19 .

B.A.G.Fuller, History of Greek Philosophy , II , New york (1968) p.44.

وأيضاً : وولتر ستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة محاهد عبد المنعم مجاهد ، دار النشر للثقافة والنوزع ، القاهرة (١٩٨٤) ص ١١٦ :

يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار القلم ، بيروت ب.ت ، ص ٥١ .

شارك سقراط في مجلس الخمسمائة الحاكم في مدينة أثينا حيث كان ضمن خمسين عضوا يمثلون قبيلة أنتيوخس وذلك في وقت قبل عام ٤٠٦ ق.م^١ .

وهذا يبين أن سقراط كان مشاركا بشكل فعال في الحياة العسكرية والسياسية ، وتميز بالشجاعة والعدل . وفي أثناء عضويته في المجلس رفض القرار الذي اتخذ بشأن قادة أسطول موقعة أرجينوساي ، فقد أحرز الأسطول الأثيني النصر ولكنه فقد خمسا وعشرين سفينة وفشل القادة في إنقاذ أى من البحارة أو انتشال جثثهم . ومع ذلك كان القادة ينتظرون التكريم ولكن بدلا من ذلك تم تقديمهم للمحاكمة . وفقا للقانون الأثيني كان يجب محاكمتهم كل واحد على حدة. ولكن ساد الاتجاه لمحاكمة القادة جميعا دفعة واحدة ، وتمت إدانتهم دون أن تتاح لهم الفرصة للدفاع عن أنفسهم وصمت الكل ولم يعترض أحد إلا سقراط الذي أصر على رفض القرار لأنه مخالف للقانون^٢ .

كان موقف سقراط تحديا للدرجة الشعبية وللمجلس على السواء . وفي مناسبة أخرى رفض سقراط أمرا من حكومة الثلاثين للاشتراك في اعتقال أحد خصومهم^٣ على أية حال لم يكن سقراط راضيا عن الأوضاع السياسية في عصره ، وأعلن رأيه مصرحا أنه غير راض عن نظام الديمقراطية الأثيني ، وأنه يرى أن السياسة يجب أن تقوم على أكتاف العارفين بالعلم وليس على أكتاف محترفي هذه المهنة^٤ . وضاق خصومه بآرائه السياسية فاتهموه بإفساد الشباب وتحريضهم على التمرد ، كما اتهم أيضا بإنكار الآلهة القومية . ولكن يبدو أن الاتهام كان بسبب آرائه السياسية وأن أنصار

^١Bury The Age of Illumination, pp.386 , Burnet , Greek Philosophy , p.116 .

وأیضا : یوسف كرم : المرجع السابق ، ص ٥١ .

^٢Richard Kraut, Socrates And The States, New Jersey, Princeton, (1984) p.19.

And See Also : Burent, Greek Philosophy, Thales to Plato Macmillan & Co LTD, London, 1961, p.116 .

وأیضا : أوجيست ديبس ، أفلاطون : ترجمة محمد اسماعيل ، تقديم ومراجعة د. عثمان أمين ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٤٣-٤٢ .

^٣Burnet , Op. Cit. , p.116 .

And See Also : B.A.G. Fuller , Op. Cit. , II, p.44.

وأیضا : وولتر سنيس ، المرجع السابق ، ص ١١٨ ؛ أوجيست ديبس ، أفلاطون ، ص ٤٧ .

^٤Kraut ,Socrates, PP,6,8 .

الحزب الديمقراطي هم الذين قاموا بتدبير ذلك ردا على موقفه العدائى من الحزب وانتقاما من اثنين من أبرز تلاميذه تحولوا إلى جانب اسبرطة فى الحرب ضد أثينا^١ .

وعلى الرغم من إدانة سقراط إلا أنه ترك أثرا عميقا فى الحياة الفكرية فى أثينا ، ويكفى أن الفلسفات الأربع الكبرى فى العصر القديم ، الأفلاطونية والأرسطية والرواقية والأبيقورية قد نمت كلها وتطورت عن تعاليم سقراط ، وتركز اهتمامهم على الإنسان ككائن ذكى وليس كحيوان سياسى^٢ . كما أحدثت وفاة سقراط هزة عنيفة فى نفوس المفكرين ، وبصفة خاصة على تلاميذ سقراط ومريديه ، وكان أفلاطون أكثرهم تأثرا ، ومن ثم فلم يشعروا بالأمان وقرر أفلاطون مع بعض أصدقائه المقربين الانسحاب من أثينا والتوجه إلى ميجارا للانضمام إلى إقليدس زميلهم فى الدراسة ومؤسس مدرسة الفلسفة الميجارية^٣ . ويقال إن أفلاطون قد أدى الخدمة فى الجيش الأثينى مرتين: المرة الأولى فى السنوات الأخيرة من الحرب البلوبونيزية ، وبسبب مكانته الاجتماعية فقد شارك كفارس وليس جندي مشاة فى أواخر الحرب البلوبونيزية^٤ . والمرة الثانية فى الحرب الكورنثية (٣٩٥-٣٨٦ ق.م)^٥ ومثل أستاذه تم اتهامه مرارا بأنه منحاز ضد الديمقراطية^٦ .

بعد أن قضى أفلاطون فترة مع إقليدس تذكرنا معا حياة أستاذهما ولم يجد أفلاطون الراحة التى كان ينشدها بسبب القلق الذى كان مسيطرا عليه ؛ ومن ثم قرر القيام برحلة سياحية علمية زار فيها مصر وفارس وقورينة فى شمال افريقيا وكذلك زار سردينيا وصقلية وأخيرا قام بزيارة جنوب إيطاليا ، وقد زار خلال رحلاته المراكز العلمية فى تلك البلاد . واقترب أفلاطون من سن الأربعين

^١Adam Fox, Plato for Pleasure, London (1945), P.37 .

وأنصأ : - وولبر سنيس ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص١١٧ .

^٢Hammond, The Classical Age , p.238.

^٣B.A.G.Fuller, Greek Philosophy, II,p.156,162.

And See Also : F.M Cornford “ The Athenian Philosophical Schools “, in The Cambridge Ancient History , VI, p.311. W.Sahakian, Mabellewis Sahakian, Plato Boston (1977),p.33 .

^٤Sahakian , Plato, p.32 .

^٥Cornford, Op.Cit , p.311 .

^٦Taylor , Plato , p.2 .

وصار له تلاميذ ومريدين ، وباتت له أفكاره الخاصة فى المناهج التعليمية وكذلك فى البيئة المناسبة التى يجب أن يتم فيها التعليم . وتذكر أفلاطون منزل إقليدس الجميل فى ميجارا عندما تجمعت فيه الصحبة السقراطية الهاربة من أثينا ، والأيام الجميلة التى كان يقضيها سقراط وأصحابه فى الحديث والمزاح فى منازل أصدقائه^١ . أما فى إيطاليا فقد انبهر أفلاطون بحياة ونظام الفيثاغورثيين الذين أعيد تنظيمهم من جديد فى مدرسة تحت رئاسة ارخيتاس التورنتى ، ومن ثم بدأ تصوره للفكرة بحيث يأتى إليه طلابه للتعليم والاقامة معا فى ظل لائحة عامة^٢ .

ثانيا : أكاديمية أفلاطون :

أنشأ أفلاطون مدرسته على بعض الممتلكات التى اشتراها خارج أسوار مدينة أثينا ، ولما كانت تطل على بستان أكاديموس فقد سميت بالأكاديمية وقد اختار أفلاطون هذا الموقع لمدرسته بسبب شهرته وقدسيته إذ يعتقدون أن المكان كان مخصصا لتقديس بطل رياضى يدعى أكاديموس ، كما كان الموقع مجاورا لعدد من المعابد المخصصة لعبادة آلهة الجحيم بوسيدون Poseidon وأدراستس Adraestes وديونسيوس Dionysus ، بالإضافة إلى بعض الأماكن الأخرى التى لها المكانة الروحية ذاتها مثل ربات الفنون^٣ أو الإله إروس . وقد ازداد الموقع جمالا لوقوعه بالقرب من المياه الجارية فى جداول سيفيسوس Cephisus ، وفى المساء تزداد شاعرية المكان بترنيمات طيور العندليب . كما هيا الجيمنازيوم والحديقة المجاورة لأهل المدرسة الهدوء والظلال لتجمع الطلاب حول أستاذهم للترييض والحديث^٤ .

^١B.A.G.Fuller , Greek Philosophy , II,p.162 .

^٢ أوحىست ديبس ، أفلاطون ، ص ٧٧ .

And See Also : J.N.Findlay, Plato; The Written and Unwritten Doctrines, London (1974),P.17.

^٣W.K.C.Guthrie, A History of Greek Philosophy, IV, Cambridge, At The University Press, (1977) p.19;H.I.Marrou, A History of Education in Antiquity, translated by George Lamb , London (1977) pp.67,68 .

^٤B.A.G.Fuller , Op.Cit , II,p.163 .

يعد تأسيس الأكاديمية أهم حدث في حياة أفلاطون وكذلك في تاريخ العلم الأوربي^١ . ومع ذلك فإن تاريخ تأسيسها غير معروف على وجه الدقة ، ولكنه كان - بلا شك - بعد عودته من زيارته الأولى للغرب في سنة ٣٨٧ ق.م ولكن متى بعد عودته لم يذكر أحد . يرى معظم الدارسين أنه كان بعد عودته بقليل^٢ . وقد تم التسجيل القانوني للمدرسة على أنها جمعية دينية علمية كرسها لعبادة * ربات الفنون ثم لتأليه أفلاطون وعبادته بعد وفاته^٣ . وربما كان اختياره لربات الفنون رعاية التعليم لأنه كان يعتقد أن الفلسفة هي أسمى فنون الموسيقى كما أن معبد ربات الفنون كان هو الشكل المعتاد لمدارس هذا العصر ، وأقام في المدرسة معبدا تؤدي فيه الطقوس الدينية لتشريفهم ، وتقام فيه الأعياد المقدسة إحياء لذكراهم مرة في كل شهر^٤ . وكانت الأعياد الدورية لإحدى الرببات من المناسبات الدينية في الأكاديمية ، تقدم فيها القرابين وكان أفلاطون وسيسيبوس يشركان الجموع في هذه الاحتفالات ليس حبا في الإفراط في شرب الخمر حتى الفجر كما هو معتاد، ولكن من أجل تشريف الآلهة وإمتاع أحدهما صحبة الآخر . وفي المقام الأول للاستمتاع بالمناقشة والحوار العلمي^٥ .

لم تكن الأكاديمية مشروعا تجاريا ؛ لأنه من الثابت أن أفلاطون مثل أستاذه سقراط لم يحصل على أية أتعاب أو أجره عن التعليم^٦ . وكانت الحياة داخل الأكاديمية شكل من أشكال الحياة

^١Burnet ,Greek Philosophy , p.174 .

^٢W.C.K.Guthrie , Op. Cit. , IV,p.20 .

وأيضا : - أوجيست ديبس ، أفلاطون ، ص ٧٧ .

^٣Ibid., IV,p.20 .

* أضيفت عبادة أفلاطون في الأكاديمية إلى عبادة أبولو وربات الفنون واله الحب إروس Eros . وفي اليوم السابع من شهر Thargelion (أواخر مايو) يتم الاحتفال بعيد ميلاد أفلاطون في الأكاديمية ، وهو نفس اليوم المقدس لميلاد الإله أبولو . ولا يوجد أدق شك في أن أفلاطون قد قصد من تحديد ميلاده في هذا اليوم لتظل أسطورة اتصال أصوله بالإله أبولو قائمة . كما كان تمثل أفلاطون يعد رمزا لاستمراره وجوده في الأكاديمية .

See: Frantisek Novotny, The Posthumous Life of Plato, Prague (1977), P.19 .

^٤B.A.G.Fuller, Op. Cit. , II,p.163.

^٥W.C.K.Guthrie, Op. Cit. , IV,p.21 .

^٦Sahakian , Plato, p.35 .

المشتركة، ويربط بين أعضائها روابط الصداقة القوية بل يمكن القول إنه كانت هناك علاقة حميمة بين الأستاذ والتلميذ^١. وكان أعضاء المدرسة يتناولون طعامهم معا ويتقاسمون التكاليف وفقا لنظم عادلة ومحكمة حيث كانت المأدبة من الأشياء المهمة أو إذا شئت فقل من الطقوس المهمة داخل الأكاديمية حتى أنها كانت تقام وفقا للنظم التي يطبقها مدير الطقوس والاحتفالات الدينية^٢ ويرى بعض المؤرخين أنه كانت لهذه الوجبات العامة شهرتها؛ لأنها كانت تجمع بين كونها وجبات صحية، وبين الاعتدال في تناول الطعام مع تبادل الحديث ويقال إن الضيف كان يلاحظ أن هؤلاء الذين يتناولون الطعام مع أفلاطون يصبحون في اليوم التالي وهم يشعرون بالتحسن. وأن أفلاطون بنفسه كان يروى كيف أن بعض ضيوف الأكاديمية قد تناولوا الشراب بكميات معقولة وقاموا بصرف عازفة الناي وبدأوا بتسلية أنفسهم بأن يتحدث كل واحد في دوره عن الموضوع المحدد. ويوجه أفلاطون ازدرائه إلى غير المتعلمين الذين يحتاجون للتسلية بعد تناول طعام الغذاء؛ لأن الرجال المهذبين المتعلمين قادرين على تسلية أنفسهم بالحديث والاستماع كل في دوره بطريقة منظمة^٣.

ثارت مناقشات عديدة عن الهدف من إنشاء الأكاديمية وهل هي جمعية للنهضة بالعلوم أم أنها مؤسسة للتعليم العالي. ويرى البعض أن الأكاديمية كانت مدرسة للدراسات العليا، وفي الوقت نفسه مؤسسة تعليمية^٤. ويرى البعض الآخر أنها لم تكن مجرد قاعة محاضرات ولكنها كانت معهدا للبحث العلمي^٥. ويرى آخرون أن الأكاديمية كانت شيئا شبيها بمدرسة للعلوم السياسية، أما بالنسبة لتكوينها فكانت شيئا شبيها بمدرسة دينية على درجة من الاتساع ينضم إليها الأعضاء دون قيد أو شرط^٦. وهناك من يرى أن الأكاديمية كانت مكانا للمناقشات المستمرة التي يتخللها توجيه

^١ Marrou , History of Education , pp.67,68 .

^٢ W.C.K.Guthrie, Op. Cit. , IV, p.21.

And See Also : Sahakian , Plato , p.35.

Fuller, Op. Cit. , II, p.163 .

^٣ Ibid. , IV, p.20 .

^٤ Marrou, Op.Cit , p.67 .

^٥ Burent, Greek Philosophy , p.181.

^٦ أوجست ديبس ، أفلاطون ، ص ٧٧ .

العلمي وإظهار الأدلة والبراهين . وبأنها كانت مدرسة للفلسفة وليست مدرسة للأخلاق أو للإعداد السياسي . ومع ذلك كان فيها قدر كبير مما يمكن تسميته بعلم الاجتماع أى العلم الذى يهتم بالإنسان^١ ، وأن الهدف من إنشائها هو توفير التعليم للشباب ليس بغرض إعدادهم للوظائف ولكن من منطلق جعل المعرفة غاية فى حد ذاتها . ويرى أفلاطون أن هذا التعليم قد يكون أو لا يكون مؤهلاً لنجاح الدارس فى الحياة العملية ولكنه سيفتح أمامه إمكانية أن يحيا الحياة الفضلى ولا شىء أكثر من ذلك^٢ وربما كان ذلك هو واقع الأمر فى الأكاديمية أما ما كان يدور فى رأس أفلاطون عند إنشائها فيبدو أنه كان يهدف إلى تعليم المواطن الحنكة السياسية^٣ . والحنكة لن تأتى إلا بالحكمة ومن ثم كان أفلاطون يرى أنه لى تكون لديك حكومة جيدة يجب أن يكون لديك رجال جيدون^٤ . أو بمنطوق آخر إن الحكومة الجيدة الصالحة تتحقق عندما يجد الفلاسفة الحقيقيون طريقهم إلى السلطة السياسية ، أو عندما يستعين السياسيون الأقوياء بالفلاسفة الحقيقيين^٥ . ويخلص البعض إلى القول بأن أفلاطون كان يهدف إلى إعداد الملك الفيلسوف أو الحاكم الفيلسوف^٦ ؛ لأن الفيلسوف هو الإنسان الوحيد الذى يستطيع أن يتصور القوانين العادلة تصورا علميا^٧ .

صار أفلاطون أول رئيس لمعهد علمى دائم للدراسات العلمية على أسس منهجية مبتكرة^٨ ، وكان أسلوبه فى إلقاء المحاضرات هو أن يرتجل المحاضرة على طلابه دون أن تكون أمامه مذكرات مكتوبة^٩ ؛ لأنه على الرغم من موهبته العظيمة ككاتب إلا أنه لم يكن يؤمن بالكتابة كوسيط جيد

^١ Fox, Plato, PP.55,57 .

^٢ Ibid., P.53 .

^٣ Sahakian , Plato ,P. 35 .

^٤ James B.Wilbur, Harold J.Allen, The Worlds of Plato And Aristotle ,Cambridge University Press, New York (1979) p.1.

^٥ Guthrie, Greek Philosophy , IV,p.23.

^٦ وولبر سسس : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ١٤٦ .

^٧ مصطفى عالى ، أفلاطون (فى سبيل موسوعة فلسفية) ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ب.ت ، ص ٨٩ .

^٨ الفرد ادوارد تلىر : سفراط ، ص ٧ .

^٩ نفس المرجع ، ص ٧ .

للتعليم ، وكان يقول إن فلسفته لا يمكن أن تدون ، وقال إن الكتب مثل الخطباء الشعبيين غير قادرة على إلقاء الأسئلة أو الإجابة عنها . وقال إن الأشياء المكتوبة مضرّة للذاكرة ، وإن هذه الكتابات عرضة للوقوع فى أيدي من لا يستحقها ، وإن استخدام المناقشة الشفهية أكثر نبلا وشرفا من تدوين المعرفة الشخصية عن الحق والخير والجمال ؛ لأن الكلمات المكتوبة لا يمكن أن تقدم المساعدة فى النقاش ولا تقدم التعليم الكافى لإدراك الحقيقة^١ . على أية حال يقال إن أفلاطون قد اشترط على من يدخل الأكاديمية أن يكون ملما بالرياضيات فكتب على باب الأكاديمية : لا يسمح بالدخول هنا لمن يجهل الهندسة^٢ .

تكون جمهور الأكاديمية من فريقين ، جماعة الصفوة من العلماء والمشتغلين بالعلم وجمهور العامة الذين يحضرون إلى الأكاديمية على أمل الاستماع إلى بعض الوصفات السحرية للسعادة الإنسانية ولكنهم كانوا يغادرون وهم ممتعضون عندما تكون المحاوره كلها عن الرياضيات والفلك أما الخاصة أو الصفوة أمثال أرسطو وسبسيبيوس واكنوقراط والآخرين فقد اقتصر عليهم محاضرات أفلاطون الصباحية ؛ ومن ثم كانت لديهم بالتأكيد فرص أفضل ليتعرفوا على أفكار أفلاطون فى هذه الموضوعات المركزية^٣ . وكان التعليم يتناول جميع فروع المعرفة ، وكان إلى جانب أفلاطون وتحت رئاسته عدد من العلماء كل منهم مختص بمادة ، فكانوا يشرحون الرياضيات وخاصة الهندسة والفلك والموسيقى والبيان والجدل والأخلاق والسياسة والعلم الطبيعى^٤ .

ونظرا لأن أفلاطون كان يؤمن بأنه لا يوجد شيء جدير بالمعرفة يمكن تعلمه بالسمع فقط وأن الطريقة الوحيدة الصالحة لتدريس العلم تكمن فى حقيقة أن تكون مشاركا فى جماعة من ذوى العقول المتقدمة فى اكتشاف الحقيقة العلمية^٥ ، فقد استخدم أفلاطون أسلوب الجدل وهى الطريقة

^١ Fox, Plato, P.54.

^٢ Drake, The People's Plato, P 10 .

^٣ W.C.K.Guthrie , Greek Philosophy , IV, pp.20,21 .

And See Also : Drake, The People's Plato, PP.11,12 .

^٤ يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٦٠ .

^٥ B.A.G.Fuller, Greek Philosophy , II, p.163 .

المفضلة عند أفلاطون عندما يتدارس مع طلابه^١. كما أن أفلاطون لم يفرض على طلابه أبحاثا معينة من الموضوعات التي يهتم هو بها كالرياضة والفلك ولكنه فقط كان يطلب أن يحصلوا على محاضرات تمهيدية في الرياضيات وكذلك في الدراسات البيولوجية^٢. ويبدو أن الجزء الخاص بالرياضيات كان يتطلب وقتا طويلا لالتهاء من دراسته حيث يستغرق من الطالب عشر سنوات لإنهائه يبدأها الطالب في سن العشرين^٣. وعند الانتهاء من هذه المرحلة يكون الطالب قد بلغ الثلاثين من عمره وهي السن المناسبة لدراسة الفلسفة^٤، وكان أفلاطون يلقى محاضراته في الجيمنازيوم؛ الجزء العام من حرم الأكاديمية حيث كان السوفطائيون وغيرهم يلقون خطبهم^٥ فكان أفلاطون يجلس وسط قاعة المناقشة exedra وحوله طلابه، وعند الانتهاء من المناقشة يمكن للطلاب تناول الشراب وتبادل الأحاديث الودية في المكان المخصص لذلك^٦.

ومنذ البداية اجتذبت الأكاديمية عددا كبيرا من الشباب صاروا فيما بعد رجالا متميزين. ومن الملاحظ أنهم جاءوا من كل أنحاء بلاد اليونان. وهذا هو أحد الأمور المميزة للتعليم في القرن الرابع عن القرن الخامس. ففي القرن الخامس كان شباب أثينا يحصلون على تعليمهم العالي من عدد من الأساتذة الأجانب المتميزين الذي يحضرون في زيارات عابرة من وقت لآخر، أما في القرن الرابع فقد توافد الطلاب من جميع أنحاء هيلاس إلى أثينا ليجلسوا أمام أقدام اثنين من المواطنين الأثينيين أيزوقراط وأفلاطون. وصارت أثينا في الحقيقة مدرسة هيلاس. والجدير بالذكر أن عددا كبيرا من هؤلاء الطلاب جاءوا من الشمال وخاصة من المستعمرات اليونانية في تراقيا على البحر الأسود وذلك - إلى حد كبير - بسبب انتقال يودكسوس Eudoxos وطلابه إلى الأكاديمية^٧.

^١W.C.K.Guthrie , Op. Cit. , IV,p.21.

^٢Burent , Greek Philosophy, p.181 .

^٣Ibid., p.182 .

^٤مصطفى غالب، أفلاطون، ص ٩٠ .

^٥W.C.K.Guthrie , Op. Cit. , IV,p.21.

^٦Marrou, History of Education , p.68 .

^٧Burnet , Op.Cit , p.174 .

حقيقة الأمر أن إنشاء أفلاطون للأكاديمية لم يكن عملا مبتكرا أو غير مسبوق فإن أيزوقراط معاصر أفلاطون والأكبر سنا قد ترأس بالطريقة نفسها على مؤسسة للتعليم العالي هي الأقدم عهدا . أما الجديد في أكاديمية أفلاطون أنها كانت معهدا لإجراء البحوث العلمية ، وكان أيزوقراط يؤمن مثل أفلاطون بضرورة تأهيل الشباب للعمل في الحياة العامة ولكنه على العكس من أفلاطون كان يؤمن برأى رجل الشارع في عدم جدوى الفلسفة^١ .

هذا هو المناخ السياسى والحياة الفكرية التى عاش فيها أرسطو والمؤسسة التعليمية التى درس ونمت أفكاره فيها ونضجت فلسفته .

ثالثا : الفترة المبكرة من حياة أرسطو :

ولد أرسطو فى سنة ٣٨٣/٣٨٤ ق.م فى مدينة ستاجيرا Stagira^٢ ، على الساحل الشمالى الشرقى لشبه جزيرة خالكيدىكى Chalcidice فى شمال بلاد اليونان . وكانت خالكيدىكى قد استعمرها اليونانيون الأيونيون خاصة من خالكيس واندروز قبل ذلك بثلاثة قرون^٣ . ويحدها من الجنوب الغربى تساليا ومن الشمال الشرقى تراقيا وفى الشمال مقدونيا وإلى الشرق فيما وراء بحر إيجه آسيا الصغرى^٤ . وإنه من الصعوبة بمكان أن نجد منطقة أخرى فى بلاد اليونان جرى عليها التنافس مثل خالكيدىكى . فقد ادعى الأثينيون والاسبرطيون والكورنيثيون أن لهم حقوقا على مدنها .

^١ الفرد ادوار تبلر ، سقراط ، ص ٧ .

^٢Diogenes Laertius , The lives of Philosophers,1, p.445.

^٣Felix Grayeff, Aristotle and his school , London (1974) pp.13,14 .

And See Also : David Ross , Aristotle, New York(1949),p.1.

بينما يرى بعض الكتاب أن مدينة ستاجيرا كانت تقع فى تراقيا المقدونية

See: Henry B.Veatch , Aristotle, London (1947) p.5; W.T.Jones, The Classical Mind , New York (1970) p.214; Joseph Owens, Aristotle, New York (1981) p.2.

وبسبب هذا الخلط فى تبعية مدينة ستاجيرا حاول البعض إظهار أرسطو على أنه ليس يونانيا أصيلا مع أن مدينة ساحيرا كانت مدينة يونانية
حالة.

See: Ross, Aristotle, p.1; Ferguson , Aristotle, p.14, Anton – Hermann Chroust, Aristotle, New Lighton his Life and on some of his Lost Works, London (1973) I,pp.73,74 .

^٤Grayeff , Aristotle , p.14 .

وخلال حملة الملك الفارسي اكسركسيس تم حصار بوتيديا Potidae وتم تدمير اولنثيوس Olynthus كما اندلعت حرب البلوبونيز في المنطقة مع فرض الحصار على بوتيديا .وتبع ذلك صراع مرير للسيطرة على مدن خالكيدى الكبرى مثل أمفيبولس Amphipolis . وقد جرت معركة أيجوسبوتامى Aegospotami الفاصلة لهذه الحرب فى الدردنيل على مقربة من المنطقة^١ . لقد كانت الحرب البلوبونيزية أيضا صراعا أيديولوجيا فكان كل تغيير فى التوازن السياسى ينعكس على المناطق التى تأثرت بالحرب ، فعندما يميل ميزان القوة لصالح اسبرطة يتم استبعاد المجالس الديمقراطية من المدن ليحل مكانها الحكم الأولجاركى ومجرد أن تحقق أثينا بعض الانتصارات يتم نفي الأولجاركية وتعود المجالس الديمقراطية . وبعد نهاية الحرب بين أثينا واسبرطة وبداية صعود نجم القوة المقدونية عادت خالكيدى لتصبح منطقة نزاع بين مقدونيا والمدن اليونانية ولقد دعا الخطيب الأثينى ديموسثينس Demosthenes بلاد اليونان للدفاع عن امفيبولس وأولنثوس من أطماع فيليب المقدونى الذى كان يرغب فى إخضاع خالكيدى^٢ .

وكان نيقوماخوس والد أرسطو يعمل طبيا ، وكان أطباء هذا العصر يشكلون رابطة مقدسة أو بالأحرى عشيرة واحدة ويدعون جميعا أنهم ينحدرون من سلالة أسكليبيوس Asclepius إله الشفاء^٣ .ويبدو أن جذور والده تعود إلى منطقة مسينيا ، ثم هاجرت منها فى القرن الثامن أو السابع إلى جزيرة اندروز ، ثم استقرت الأسرة أخيرا فى ستاجيرا حيث من المرجح أن يكون والد أرسطو قد ولد فى هذه المدينة . أما والدته فايسنتس Phaestis فيبدو أنها أيضا من سلالة اسكليبيوس، وقد جاء أبؤها من خالكس فى جزيرة ايوبيا Euboea ، ومن المرجح أنها أيضا ولدت فى ستاجيرا ، ومع ذلك فقد ظلت تحتفظ بمنزل أسرتها فى خالكيس^٤ . وكانت مزاولة مهنة الطب

^١ Grayeff,Aristotle,p.14.

^٢Ibid, p.14 .

^٣Diogenes Laertius ,Op.Cit , 1, 445 . And See Also : Samuel Enoch Stumpf, Philosophy : History and problems, New York (1977) p.84 .

^٤Abraham Edel , Aristotle and His Philosophy, London (1982) p.16 , See: Chroust, Aristotle, I,p.76; Ross , Aristotle, p.1; Fuller Greek Philosophy , III,p.3; Grayeff, Aristotle, p.14 .

مقصوره فقط على خلفاء اسكليبيوس وبالتالي فإن مزاوله هذه المهنة كان يعد سرا عائليا مصونا ينتقل من الأب إلى الابن . ومن ثم فإنه من المفترض أن يكون نيقوماخوس قد بدأ في تدريب ابنه وتعليمه المهنة منذ نعومة أظفاره ، فتعلم أولا كيفية صنع الدواء من الأعشاب كما أنه ليس من المستبعد أن يكون أرسطو قد عاون والده في إجراء بعض العمليات^١. وكان الأطباء الاسكليبيون يتجولون خلال المدن والقرى لعلاج مرضاهم ، والواقع أنهم كانوا يتجولون خلال منطقة صغيرة . ويبدو أن سبل العيش لم تكن ميسرة في خالكيدىكي وأن نيقوماخوس أثناء ترحاله عبر الحدود في مقدونيا وجد أن فرص النجاح فيها أفضل ، أو ربما تكون مهارته في المهنة قد جذبت إليه أنظار رجال البلاط فأقنعوه بالانتقال إليها^٢ مهما كانت الأسباب فقد انتقل إلى مقدونيا وتم تعيينه طبيبا للملك أمونتاس الثاني^٣ وكان انتقال نيقوماخوس والد أرسطو إلى مقدونيا نقطة تحول في حياة الأب وعلى مستقبل الابن فقد نجح نيقوماخوس في وضع أساس لعلاقة حميمة بين عائلته والأسرة الحاكمة في مقدونيا^٤ . وكان على نيقوماخوس أن يرافق الملك في حملاته ورحلاته المتعددة ضد الأمراء المتمردين ، واستمر في أداء واجبه لسنوات قلائل أنهكته فيها حياة المعسكرات الصعبة وتوفى وهو في سن الشباب بينما كان ابنه في حوالى العاشرة من عمره^٥ ولكن تاريخ وفاة نيقوماخوس غير معروف على وجه اليقين ولكن يمكن القول إنه توفى في وقت ما قبل أن ينتقل أرسطو إلى أثينا في سنة ٣٦٧ ق.م^٦. على أية حال ليست هذه هي المشكلة الوحيدة ولكن البعض يثير مسألة أخرى وهى هل انتقل أرسطو إلى مقدونيا مع والده ومن ثم يكون قد قضى فترة من طفولته وشبابه المبكر في بلاط العاصمة بيلا Pella ؟ بالطبع إن مسار حياته يؤكد ذلك ؛ لأن أرسطو قد حظى طوال حياته بعلاقة وثيقة مع الحكومة المقدونية ، ولا يمكن الادعاء بأن العلاقة مع البلاط الملكى قد

^١Ross, OP.Cit, p.1; And See Also : B.A.G. Fuller, Greek Philosophy, III,p.4.

وأيضاً : - محمد فتحى عبد الاله ، مترجمو وشراح أرسطو عبر العصور ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية (٢٠٠٠) ص ١ .

^٢Grayeff , Op.Cit, p.15 .

^٣Robin , . Aristote, p.1 .

^٤Diogenes Laertius,Lives of Eminent Philosophers,1, p.445 .

^٥Grayeff, Aristotle, p.15; And See Also : B.A.G.Fuller, OP.Cit, III,p.4.

^٦Chroust, Aristotle, 1,pp.92,93.

انتقلت من الأب إلى الابن دون أن يكون الأخير معروفا بصفة شخصية للبلاط ، علاوة على ذلك أن أرسطو وجد في فيليب الثاني الابن الأصغر لأمونيتاس الثاني راعيا وكفيلا ، فقد عرف أحدهما الآخر منذ أن كانا في مرحلة الطفولة والصبأ وتوطدت الصلة بينهما^١ .

أثرت الوفاة المبكرة لكل من والد أرسطو ووالدته على مجرى حياته ، فقد كان والده أستاذه ومعلمه ، وكان يعده لمزاولة مهنة الطب ، بل ربما أيضا ليكون طبيبا للملك . تولى الوصاية *على أرسطو قريبه بروكسنيوس الأتارنيوسى Proxenus of Atarneus وقام هو وزوجته برعايته وتربيته ، وقد ظل أرسطو حافظا للجميل وممتنا لهما طوال حياته^٢ . وهنا يظهر تساؤل جديد هل عاد أرسطو إلى موطنه ستاجيرا أم أنه استمر مقيما في مقدونيا ؟ نفهم من كتابات البعض أنه عاد إلى ستاجيرا^٣ . أدت وصاية بروكسنيوس إلى تغيير المسار العلمى لأرسطو فقد وجهه لدراسة الشعر اليونانى والبلاغة ، وليس من المستغرب أن يتوفر هذا النوع من التعليم في مقدونيا حيث بدأت الطبقة المقدونية العليا تحاول اكتساب الثقافة والتمدين اليونانى ومن الأمور التى تدل على ذلك أن يوربيدس Euripides قد أقام في مقدونيا فترة من الوقت ضيفا على الملك أرخيالوس . وأنه يمكن الادعاء بأنه فى غضون ذلك الوقت كان يوجد مدرسون يونانيون فى مقدونيا يقدمون تعليما ممتازا؛ لأنه لم يكن بوسع أرسطو أن يكتب هذه الكتابة الأتيكية الجميلة إذ لم يكن قد تعلمها وهو صغير^٤ . عموما كان اليونانيون والمقدونيون ينظرون إلى بعضهم بخليط من الاحترام والازدراء ، فاليونانيون كان يعتبرون المقدونيين برابرة ويسخرون من لهجتهم وعاداتهم الهلينية ، كما كانوا يعرفون

^١ Grayeff, OP.Cit, pp.15,16 .

^٢ Franz Brentano, Aristotle And His World View ,p.3 .

And See Also : Fuller, Op.Cit, III,p.4.

Grayeff, Op.Cit, p.16 .

* ساقس كروست موضوع الوصاية بأن نيقوماخوس قد أوصى بأن يقوم بروكسيوس بالوصاية على زوجته وأبائه الثلاثة وممتلكاته ، كما أوصى بأن يزوح بروكسيوس الذى كان أعزبا من ابنته أرمست . وقام برعايتهم كوالد وأح أكبر ، كما تزوج من أرمست .

See : Chroust, OP.Cit, 1,pp.78-80 .

^٣ Grote, Op.Cit, p.3; Fuller, OP.Cit, III,p.4.

^٤ Grayeff, Aristotle, p.16 .

ويقدرون ثروة أمرائهم وقوة بلادهم . وفى الجانب الآخر كان المقدونيون يحاولون محاكاة طريقة الحياة اليونانية وعلى الرغم من ذلك يحتقرون تلاعب السوفسطائيين بالكلمات ، كما كانوا مدركين بتفوق مملكتهم على دويلات المدن اليونانية التى أضعفت بعضها الآخر بخلافاتها المستمرة ^١ .

اضطربت الأحوال فى مقدونيا بعد مصرع أمونتاس الثانى ٣٦٩ ق.م ويبدو أن ذلك كان سببا وراء رحيل أرسطو عن مقدونيا واتجاهه صوب أثينا فى سنة ٣٦٨ ق.م وهو فى السابعة عشر من عمره أو الثامنة عشر ليستكمل تعليمه . وكانت فى أثينا آنذاك مدرستان متنافستان تهتم إحداهما بالفلسفة وهى الأكاديمية بينما تهتم الثانية بتعليم وتدریس الخطابة والبلاغة وهى مدرسة أيزوقراط وهى المدرسة الأقدم عهدا ، فقد أنشأها أيزوقراط سنة ٣٩٠ ق.م ، كما كان لكل منهما اتجاه سياسى يختلف عن اتجاه الأخرى بل يصور البعض اختلاف رؤيتهما فى التعليم بأن أيزوقراط كان مهتما بما يعرف بالعلوم الإنسانية وأن التنافس بينه وبين أفلاطون ما هو إلا الفصل الأول فى الصراع بين العلوم الانسانية والعلوم الطبيعية ^٢ .

كان أيزوقراط مدرسا للخطابة التى ظل يعمل بها طوال خمسة وخمسين عاما (٣٩٣-٣٣٨ ق.م) وقبيل اشتغاله بالتدريس كان يعمل بكتابة الخطب القضائية التى تقدم للدفاع أمام المحاكم ومنذ سنة ٣٨٠ ق.م جمع بين التدريس وبين كتابة المقالات السياسية ^٣ وكان على تلاميذه فى المقام الأول أن يتعلموا كيف يتحدثون بشكل جيد . وإذا كان تعليم أفلاطون يعتمد أساسا على فكرة أو مثال "الحقيقة" فإن تعليم أيزوقراط يعتمد على "الكلمة" ^٤ ويعد أيزوقراط إماما فى الأسلوب وقد جعلته نظرياته مؤهلا لاحتلال المكانة الأولى فى أية رسالة عن تطور النثر الإغريقى ^٥ وفى الوقت نفسه فإن الشكل الذى استحدثه أيزوقراط فى أسلوبه فى الكتابة كان من الدقة والإتقان لدرجة أنه قد أثار

^١B.A.G.Fuller, Greek Philosophy, III,pp.3,4.

^٢Burnet, Plato, 176.

^٣Marrou, History of education, p.80; Grayeff, Aristotle, p.18. Grote, Aristotle, P.21.

وأيضاً : - أرسطو ، نظام الأنبيى ، ترجمة د. طه حسين ، مطبعة الهلال ، القاهرة (١٩٢١) ص ١٦ .

^٤Ibid , p.81.

^٥ج.ف.ديسون ، حطاء اليونان ، ترجمة أمين سلامة ، راجعه د. محمد صفر حمّاجه ، مؤسسة التضامن العربى ، القاهرة (١٩٦٣) ص ١٤١ .

بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في كل كتاب النثر في عصره حتى العصر الحالي^١ ومع ذلك فإنه كان يدعى أنه مدرسا للفلسفة^٢، كما اختلفت المدرستان أيضا في الاتجاهات السياسية، فبينما كان أيزوقراط مؤيدا لكل النزعات الهيلينية^٣. كانت الأكاديمية من الناحية الأخرى دائمة التأييد والدعم لمصالح أثينا على الأقل طالما كانت هذه المصالح متوافقة مع مصالح اسبرطة (في هذا الوقت كانت أثينا واسبرطة حليفتين) ومن ثم فقد حققت الأكاديمية إنجازات لها أهميتها في أثينا، حتى أن المجلس الأثيني أبدى اهتماما بالسياسة الصقلية لأفلاطون حيث إن أثينا من فترة ليست بالقصيرة قد حاولت فتح صقلية وضمها إلى الامبراطورية البحرية الأتيكية.

كان ذلك هو الوضع في الأكاديمية عند وصول أرسطو إلى أثينا فقد كان أفلاطون غائبا والأكاديمية تحت إشراف إيدوكسيوس الكندوسى Eudoxus of Cnidos وكان على أرسطو أن يختار المدرسة التي سيلتحق بها ونوع التعليم الذي يريده.

رابعا : دور الأكاديمية في الحياة السياسية :

لاشك أن الأكاديمية في عقودها الأولى كانت مدركة – بوعى – لأهمية السيطرة على القوى الفكرية والسياسية في بلاد اليونان، وقد نجحت في سعيها على الرغم من بعض الانتكاسات فقد انتشر كثير من خريجي الأكاديمية خارج أثينا وتم الترحيب بهم في بلاط الأمراء حيث قاموا بالعمل مستشارين وخطباء وأمناء مكاتب ومدرسين، وقاموا بنشر الثقافة اليونانية والعمل لمصلحة أثينا كلما أمكنهم ذلك. ولكن مازال التدخل في صقلية هو أهم مشروع سياسى للأكاديمية^٥.

^١Burnet , Greek Philosophy , p.177.

^٢W.C.K.Guthrie, Greek Philosophy , IV,p.24 .

^٣Grayeff, Aristotle, p.18.

And See Also : Burnet, Op.Cit, p.176.

وانظر أيضا : ح .ف .دسون ، المرجع السابق ، ص ١٤١ و١٥٦ و١٥٧ .

^٤Grayeff, Aristotle, p.18 .

^٥ Ibid, pp.21,22.

توفى ديونسيوس الأول Dionysius طاغية سيراقوزه فى سنة ٣٦٧ ق.م وخلفه على العرش ابنه ديونسيوس الثانى الذى لم يكن مؤهلا لتولى العرش والتعامل مع الخطر القرطاجى الذى يهدد الوجود الحضارى لبلاد اليونان فى غربى صقلية، علاوة على ذلك لم يكن أى من ديونسيوس الأكبر أو الأصغر مقبولا من الجماهير بسبب سياسته التعسفية والمشاكل الاقتصادية . وقد اعتاد ديونسيوس الأول على قمع المعارضة ومن ثم فقد تشكل حزب للإصلاح تولى رئاسته النبيل القوى ديون Dion وهو رجل دولة ينتمى إلى عائلة الطاغية عن طريق المصاهرة كما كان فى نفس الوقت صديقا أو تلميذا لأفلاطون^١ وكان ديون يعتقد فى مبادئ أفلاطون وآرائه عن اتحاد القوة السياسية مع العلم ،واقتنع بفكرة إحضار أفلاطون شخصا إلى سيراقوزه لتعليم ديونسيوس الأصغر، وأقنع الطاغية بضرورة استدعاء أفلاطون ، كما قام ديون بإرسال رسالة إلى أفلاطون يؤكد على ميول ديونسيوس للتعليم والفلسفة ويشير إلى أن الفرصة باتت سانحة لتحقيق نظريته وتدريب وتنقيف ملكا فيلسوفا^٢. وقد شعر أفلاطون أن فرص النجاح غير واعدة ، ولكن الخطر القرطاجى كان حقيقة واقعة . فإذا كان حاكم سيراقوزه غير مؤهل لمواجهة فاتها ستكون وصمة عار فى جبين الأكاديمية إذا لم تبذل قصارى جهدها لكى توضع نظريتها موضع التنفيذ لاسيما والفرصة سانحة فى مثل هذه الظروف الحرجة^٣. كما أن الأثينيين طالبوه بتلبية الدعوة وشجعه على ذلك أيضا أعضاء الأكاديمية . كما أحس أفلاطون أنه برفضه لهذه الدعوة فإنه يكون خائنا لصداقته مع ديون الذى ربما يكون مهددا من أعدائه فى سيراقوزه^٤ . ومن ثم فقد قبل المخاطرة واتخذ قراره بقبول دعوة ديون ولكن يجب الأخذ فى الاعتبار أن هدف أفلاطون لم يكن السعى إلى تحقيق تقليد زائف للمدينة الخيالية التى تصورها فى الجمهورية ولكن كان وراء ذلك هدفا سياسيا نبيلًا وذلك بإعداد

^١B.A.G.Fuller, Greek Philosophy , III, p.173 .

وأيضا : - أوحيسست ديبس ، أفلاطون ، ص ١٤٠ .

^٢W.C.K.Guthrie, Greek Philosophy, IV,p.24 .

وأيضا : - ولتر ستيس ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ١٤٦ .

^٣Fox,Plato,PP.43,44.

^٤W.C.K.Guthrie, Op.Cit, IV,pp.25,26 .

ديونسيوس الأصغر للواجب العملى الذى ينتظره لصد القرطاجيين وإن أمكن طردهم من صقلية وجعل سيراقوزة مركزا لملكية دستورية تضم كل المجتمعات اليونانية غربى الجزيرة^١ .

تم استقبال أفلاطون بترحاب شديد فى قصر الطاغية ، وبدأ عمله على الفور فى تدريس الرياضيات لديونسيوس وخاصة الهندسة وتوطدت الصلة بينهما ، وبدا لفترة من الوقت أن الآمال واعدة . ولكن الحزب المناهض للإصلاح بدأ يعمل على مناهضة أفلاطون ربما لأنهم رأوا أن تدخل أفلاطون يهدد السلام فى صقلية ، أولأنهم رأوا فيه تهديدا لمصالحهم الخاصة ، وقاموا باستدعاء بعض الفلاسفة المناهضين لفلسفة أفلاطون الذين أوضحوا لديونسيوس أن بقاء الوضع على ما هو عليه أفضل من البرنامج الذى يريده أفلاطون . وفى الوقت نفسه أثاروا الشكوك فى نوايا أفلاطون واتهموه بأنه لا يعمل من أجل صقلية ولكن من أجل مصالح أثينا ، وواجه الحزبان أحدهما الآخر ولم يعد ينظر إلى أفلاطون على أنه فيلسوف الملك ولكن كحليف لحزب الإصلاح . ووجه ديونسيوس ضربة إلى حزب الإصلاح وأمر بنفى ديون وأدرك أفلاطون أن مشروعه قد أصابه الفشل وطلب الرحيل ولكن الطاغية استبقاه لفترة من الوقت^٢ .

ولكن فشل أفلاطون فى رحلته لم تتسبب فى شعوره بالإحباط واستمرت الأكاديمية تخطط لتنفيذ مشروعاتها فى صقلية خاصة وأن ديون استقر فى أثينا ووطد علاقاته بأصحاب النفوذ ، كما وطد علاقته بالأكاديمية وبشكل خاص مع سبسيبيوس ابن أخت أفلاطون ، وقام بزيارة مدن اليونان الكبرى بما فى ذلك اسبرطة طلبا للمساعدة . وفى غضون ذلك تمكن حزب الإصلاح فى سيراقوزة من إحراز بعض النجاح وصار أكثر قوة ؛ ولذلك فقد اعتقد ديونسيوس أن بقاءه فى السلطة مرهون بالتصالح مع ديون . ومن ثم أرسل فى سنة ٣٦١ ق.م إلى أفلاطون يستدعيه إلى سيراقوزة ربما ليقوم بدور الوسيط بينه وبين ديون ووصلت إلى أثينا سفينة ملكية لتقل الفيلسوف بكل مظاهر التشريف ، وبدا أن فرص النجاح مواتية هذه المرة لتحقيق مشروعات الفيلسوف . ولكن حدث شبه

^١Fox,Plato,P.46.

^٢Grayeff, Aristotle,p.23.

And See Also : Fuller , Greek Philosophy, III,p.175 . Fox,Plato,P.47.

وأيضاً : - أوجيست دبس ، أفلاطون ، ص١٤٤،١٤٣، وولتر سيس ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص١٤٦ .

انقلاب عسكري لعب فيه حرس الطاغية دورا مهما ، وتم إلقاء القبض على أفلاطون ولم يطلق سراحه إلا بسعى من أرخيتاس التارنتومي من أعضاء حكومة جنوب إيطاليا ، ليعود إلى أثينا في سنة ٣٦٠ ق.م^١ .

عند هذه النقطة توقفت مشروعات أفلاطون بعد أن فشلت كل محاولاته لترجمة أفكاره إلى واقع ملموس ، ويبدو أن أفكار أفلاطون لم تكن هي السبب الوحيد لهذا الفشل ولكن لأن ديونسيوس نفسه لم يكن يصلح للقيام بدور الملك الفيلسوف لأنه كان يعد رمزا للمثال السقراطي عن الرجل الجاهل الذي لا يعرف أنه جاهل^٢ .

أما ديون فكان مصمما على استعادة حقوقه بالقوة ، فقام بتجنيد جيش من المرتزقة ، كما انضم إليه في حملته مجموعة من شباب الأكاديمية . وتمكن في سنة ٣٥٧ ق.م من الاستيلاء على سيراكوزة وأعلن تحريرها ، وأرسل إليه أفلاطون يهنئه ويحذره من سوء تقدير الأمور ، ويذكره بأن العالم ينتظر الأكاديمية لكي تضع مثالا للسلوك الحسن . ومع ذلك فقد فشل ديون أيضا في القيام بدور الملك الفيلسوف لأنها لم تكن مقبولة من الجماهير ودفع حياته ثمنا لذلك^٣ .

خامسا : التحاق أرسطو بأكاديمية أفلاطون :

عندما وصل أرسطو إلى أثينا التحق بأكاديمية أفلاطون تبعا للموضة المنتشرة بين شباب اليونان آنذاك^٤ أي أن التحاقه بالأكاديمية لم يكن بسبب رغبته في دراسة الفلسفة في حد ذاتها ؛

^١Grayeff, Aristotle, p.23. And See Also : Fuller, Greek Philosophy, III,pp.176-178; Guthrie, Op.Cit , IV,p.27; Fox,Plato,PP.48,49.

وأبضا : أوجيست ديبس ، أفلاطون ، ص١٤٧ .

^٢W.C.K.Guthrie, Op.Cit , IV,p.27 .

^٣Ibid. , IV,p.28,And See Also: Fuller, Greek Philosophy, III,p.179 .

وأبضا : أوجيست ديبس ، المرجع السابق ، ص١٤٨-١٥١ .

^٤B.A.G.Fuller , Op.Cit, III,p.4.

لأنه كان قد حصل على أفضل مستوى تعليمي في بلاد اليونان ، ومهما كان الدافع وراء التحاقه بالأكاديمية فإنه من الواضح أنه وجد في فلسفة أفلاطون تأثير الأستاذ في حياته^١ . على أية حال فعندما التحق أرسطو بالأكاديمية كان أفلاطون في رحلته الأولى إلى بلاط ديونسيوس الأصغر في صقلية، وغير معلوم على نحو دقيق من الذي تولى التدريس لأرسطو أثناء غياب أفلاطون ، ولكن يمكن افتراض أن من تولى ذلك رجلان هما : سيبوسيوس الذي كان يقوم بإلقاء المحاضرات وكذلك اكسينوقراط الخلقدوني اللذان أصبحا صديقين لأرسطو ، مع الأخذ في الاعتبار بأن أي منهما لم يذكر أنه قام بالتدريس لأرسطو^٢ . وظل أرسطو ينتمي إلى الأكاديمية لمدة عشرين عاما ، في البداية كان تلميذا ثم بعد ذلك مدرسا ومؤلفا . وقد بدأت مرحلة التلمذة بعد عودة أفلاطون من صقلية سنة ٣٦٥ ق.م . وما لبثت أن توطدت العلاقة بينهما وخصه أفلاطون بعناية فريدة ومحبة كبيرة إذا استشرف أن هذا التلميذ الواعد يمتلك عقلا مرهفا وذكاء متوقدا وقوة تحمل على المطالعة والاستيعاب والإدراك مما جعله متفوقا ومتميزا بين زملائه . ومن ثم راح يدعو " عقل المدرسة " " وقراءها " بل يقال أيضا إن أفلاطون قد أعجب بذكاء أرسطو لدرجة أنه لم يعهد إلى اكسينوقراط للإشراف على تعليمه كباقي الطلبة الآخرين وإنما تولى تعليمه بنفسه وأن أفلاطون عندما كان يستعد لإلقاء محاضراته ويلاحظ غياب أرسطو كان يقول لن نبداً حتى يحضر الجميع وعندما يصل أرسطو يقول نبداً الحديث لقد اكتمل الحضور . وكان يقول أحيانا : ليس قبل أن يكون العقل هنا وعندما يصل أرسطو يقول : نقرأ الآن نقد وصل العقل^٣ . ولذلك يرى البعض أن أرسطو بادلته المحبة بالمحبة والتقدير بالإجلال وأخلص له الولاء وصار أفلاطون له بمثابة الأب^٤ .

كان من المستحيل على هذا العقل القوي المتوقد أن يقبل كل مبادئ أفلاطون ومعتقداته على إطلاقهما . وظهر تباين خطير في بعض النقاط الهامة ، ولكن على الرغم من ذلك لا توجد صفحة

^١Ross, Aristotle, p.3.

^٢Grayeff, Aristotle,p.18.

^٣د.مصطفى عالت ، أرسطو ، دار الهلال للنشر والتوزيع ، بيروت (١٩٨٢) ص ١٥ .

^٤Chroust, Op.Cit , 1,p.104.

^٥Ferguson , Aristotle, p.6.

واحدة من أعماله الفلسفية لا تحمل تأثيرا أفلاطونيا^١. ومهما يكن من أمر فقد دأب أرسطو على انتقاد أعمال أستاذه بل ومعارضتها وخاصة نظرية المثل^٢ التي هي من أساسيات المذهب الأفلاطوني، وهو في كتبه لم يدع قولاً لأفلاطون إلا تناوله بالتجريح في لفظ جاف وإحاح عنيف إلاهم إلا مرة واحدة قال فيها كلمته المشهورة: أحب أفلاطون وأحب الحق، وأوثر الحق على أفلاطون^٣. ويبدو أن أرسطو عندما أحس بشدة وطأته على أستاذه أراد أن يقدم اعتذاراً عاماً للأكاديمية ومن بها فكتب في أحد نصوصه المشهورة بأسلوب يفيض رقة ولباقة بأن أسوأ الأعمال وأصعبها عليه عندما يجد نفسه مضطراً إلى نقد أعز الناس كالمدرسة الأفلاطونية^٤. وهكذا يبدو أن انتقاداته لأستاذه لم تكن وليدة الكراهية ولكنه الحق والأمانة العلمية وفي نفس الوقت فقد علق أفلاطون على سلوك أرسطو بمداعبة مستحبة تدل على ما يئنه له من حب وإعجاب بقوله: إنه يركننى كما يركل المهر أمه^٥. أو كما يصفه البعض بأنه كان شوكة في جنب أستاذه^٦ ولا شك أن انتقادات أرسطو المتكررة لأعمال أستاذه قد أثارت حفيظة أفلاطون وتركت أثراً ولو بسيطاً في نفسه ولكن ليس إلى الحد الذى يؤدى إلى إحداث جفوة أو قطيعة بينهما؛ ولذلك فقد ظل أرسطو مقيماً فى الأكاديمية ولم يغادرها إلا بعد وفاة أفلاطون. على أية حال يجب أن نفرق بين آراء أرسطو فى أعمال أستاذه ونظرياته وبين رأيه فى الرجل الذى احتضنه وقام على تعليمه فقد كتب فى رثاء أفلاطون أنه كان إنساناً لا يحق إلا للأسوياء أن يمتدحوه، إنه الرجل الوحيد الذى بين بوضوح من خلال حياته ومعتقداته كيف يكون سعيداً وخيراً فى الوقت نفسه^٧.

^١Ferguson , Op.Cit , p.6 ; And See Also : Chroust , Op.Cit , 1,p.

^٢Novotny, The Posthumous Life of Plato,P.29.

^٣يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ١١٢، وأيضاً: - وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٢٠٩.

^٤Ross, Aristotle, p.2.

^٥Diogenes, Laertius, The Lives of Eminent Philosophers, I,P.445 .

^٦Frederick Copleston , A History of Philosophym 1, London (1976) p.66.

^٧Veatch, Aristotle, p.6; And See Also: Copleston , Op.Cit, 1, p.66.

كانت مدارس الفلسفة القديمة تضم رجالا يمتثلون في الروح العامة وبينهم قواسم مشتركة في الآراء والمفاهيم ، ولكن في أبحاثهم كانوا يتمتعون باستقلال نسبي ، خاصة وأنه يمكن افتراض أن أرسطو أثناء إقامته في الأكاديمية قد تابع دراسته في علم الطبيعة إلى مدى أبعد بكثير مما وصل إليه أفلاطون أو أى عضو آخر^١ . ويبدو أنه سمح لأرسطو بالتدريس في الأكاديمية ولكن ربما في الخطابة فقط^٢ وفي معارضة أيزوقراط ، فقد شارك أرسطو أستاذه أفلاطون في مهاجمة أفكار أيزوقراط ولاسيما ادعائه بأن الخطابة وفنون الأدب التي يلفتها أيزوقراط لتلاميذه هي الثقافة الحقيقية وأنها تفوق كل ثقافة أخرى وخصوصا الفلسفة وكانت الأكاديمية تعارض ذلك ولا تعتد بالخطابة وأنه لا جدوى من ورائها ؛ لأنها تحاول مزج الحق بالباطل وتزييف الحقائق . وقد دعاه ذلك في أيام شبابه إلى نقد الخطيب بطريقة استاءت منها المدرسة الأيزوقراطية^٣ ولكن ذلك يدعونا إلى تحديد العلاقة بين أرسطو وبين أيزوقراط ، فيرى البعض أن أرسطو قضى في مدرسة أيزوقراط السنوات الثلاث الأولى من حياته في أثينا وهي الفترة التي كان فيها أفلاطون في صقلية^٤ وقد بنو هذا الافتراض لاعتقادهم بوضوح تأثير أيزوقراط على أسلوب أرسطو في الكتابة . ويستبعد آخرون أن يكون أرسطو – على الرغم من متانة أسلوبه وسهولته وقوة تعبيره خاصة في مؤلفاته المبكرة – قد درس عند أيزوقراط^٥ بينما يرى البعض الآخر أن أرسطو قد تلقى بعض دروس البلاغة خارج الأكاديمية ربما من تلميذ أيزوقراط ، الخطيب والشاعر التراجيدي ثيودكتس من خيوس^٦ Theodectes of Chios كما توجد رواية أخرى تفيد أن أرسطو أثناء إقامته في مدرسة

^١Ross, Aristotle, p.2.

^٢Owens, Aristotle, p.3, Ross, Aristotle, p.2; Edel, Aristotle, p.20.

مصطفى غالب ، أرسطو ، ص ١٦ .

^٣Ross, Op.Cit , pp.2,3 .

^٤B.A.G.Fuller, History of Greek Philosophy, III,p.4 .

وأبضا د.محمد فنحى ، مترجمو وشراح أرسطو ، ص ٢ ؛ طه حسين ، نظام الأتسين ، ص ١٦ .

^٥Ross, Op.Cit , p.2;And See Also: Chroust, Aristotle, 1,p.102.

^٦Grayeff, Aristotle, pp.18,19 .

أيزوقراط حصل على بعض كتابات أفلاطون فتأثر بما قرأ وقرر الانتقال إلى الأكاديمية^١ . على أية حال فمن الثابت أن أرسطو قد تعلم بطريق مباشر أو غير مباشر على أعظم معلمين في العالم القديم أفلاطون ، وأيزوقراط الذي كان تأثيره على الأسلوب اليوناني واللاتيني عظيما جدا وبأنه لا يوجد كاتب " فيما عدا هوميروس " إلا واقتبس منه مرارا في الخطابة^٢ وإلى هذه الفترة التي قضاها أرسطو في الأكاديمية تنتمي العديد من كتاباته المفقودة التي عبر فيها بطريقة جماهيرية إلى حد ما عن مبادئ ليست فلسفية خالصة ، فضلا عن بداية العمل في بعض الأعمال الباقية .

هذا عن الجانب العلمي من حياة أرسطو داخل الأكاديمية ولكن إلى أي حد تأثر أرسطو بالنشاط السياسي للأكاديمية ؟ وهل كان وجوده بها يعد شكلا من أشكال التدريب السياسي العملي ؟ ثم ما هو موقف أرسطو من الأحداث السياسية ؟

دور الأكاديمية في الحياة السياسية :

الواقع أن الأكاديمية ساعدت في تشكيل الأحداث السياسية التي تصب في صالح أثينا أو على الأقل إثارة الآخرين للقيام بذلك . فقد قام رجال على صلة بالأكاديمية بقتل كوتيس Cotys طاغية تراقيا ، كما قام آخرون بقتل طاغية بونطس الذي تمكن قتلته من الفرار ، وتم الاحتفال بهم في أثينا كأبطال ومقاتلين في سبيل الحرية . أما قتلة طاغية بونطس الذين تم الإمساك بهم وقتلهم فكان يتم الاحتفال بذكراهم بمظاهر التشريف في الأكاديمية . وأخيرا كان على الأكاديمية أن تشارك – بعزم وتصميم – في الصراع بين أثينا ومقدونيا^٣ .

لا توجد معلومات عن موقف أرسطو من النشاط السياسي للأكاديمية ، حيث لم يتصل اسمه برحلات أفلاطون إلى صقلية . ولكن لا يمكن بأي حال أن يقف أرسطو موقف المتفرج ؛ لأنه – بالتأكيد – قد ساند مشروعات الأكاديمية بهمة ونشاط من خلال كتاباته الدعائية . وأنه إذا

^١ Chroust, Aristotle, I,p.98.

^٢ Ross, Aristotle, p.3.

^٣ Grayeff, Aristotle, 24 .

لم يكن قد استطاع المشاركة بنشاط في المشروع الصقلي ، فلا شك أن الأحداث المتعلقة بالمشروع كان لها تأثير عميق في نمو شخصية أرسطو وتشكيلها .

في خلال السنوات الأربعة عشر الأولى من إقامته في الأكاديمية كان أرسطو يتعاطف مع وجهة نظر الأكاديمية ، وكان مثل الآخرين يتمنى النصر لليونانيين على القرطاجيين . أما فيما يتعلق بالخلافات الداخلية في اليونان فلم تكن آراؤه متطابقة مع باقي أعضاء الأكاديمية أثناء الصراع بين أثينا ومقدونيا على منطقة خالكيدىكي^١ وكانت نتيجة النزاع في صالح المقدونيين فقد تمكنوا من الاستيلاء على أمفيبولس ، ولكن عندما بدأ فيليب بحصار اولنثوس عاصمة التحالف الخالكيدىكي ، أرسلت هذه المدينة تطلب المساعدة من أثينا وقررت أثينا المشاركة في الحرب ولكنها لم تتمكن من إنقاذ اولنثوس التي سقطت في سنة ٣٤٨ ق.م، ثم استسلمت بقية المدن الرئيسية مثل خالكيدىكي ، وقاومت ستاجيرا مسقط رأس أرسطو وتم إخضاعها . وكان سلوك فيليب في منتهى العنف والقسوة فقد هدم المدن وباع سكانها في أسواق الرقيق^٢ .

سادسا : وفاة أفلاطون ورحيل أرسطو عن اثينا :

وفي السنة نفسها التي سقطت فيها ستاجيرا ودمرت على أيدي القوات المقدونية غادر أرسطو مدينة أثينا ، فقد ساد اتجاه معاد بشدة ضد المقدونيين وأصدقائهم في أثينا . ويقال إن أرسطو اتهم بموالاته للمقدونيين ، وربما يحمل ذلك ظلا من الحقيقة ؛ لأنه في ذلك الوقت كانت الشكوك تحوم حول كثير من الأثينيين بأن يكونوا عملاء لفيليب ، فما بالك بأرسطو الذي تربى في أحضان البلاط المقدوني ، كما أنه كان من مواطني منطقة خالكيدىكي التي صارت ولاية مقدونية . علاوة على ذلك يبدو أن أرسطو لم يرقم بأي دور أثناء حصار ستاجيرا ، بينما كان من المتوقع أن يساعد في الدفاع عن مسقط رأسه . على أية حال يبدو أنه لم يكن هناك سببا سياسيا وراء رحيل

^١Grayeff, Aristotle, pp.24,25.

^٢Ibid, pp.25-27;And See Also : Cawkwell, Philip of Macedon , pp.89.90 ; Chroust, Aristotle , I, p.121 .

أرسطو عن أثينا في هذا الوقت^١. وثمة رأى يفترض أن رحيل أرسطو عن الأكاديمية كان بسبب الخلاف الفكرى بين أرسطو وأفلاطون حول بعض الأسس الجوهرية فى نظريات أفلاطون وأن رحيل أرسطو كان الخطوة الأخيرة فى عملية تدريجية ولكن حتمية للقطيعة الفكرية بين الأستاذ والتلميذ. وإن كان أرسطو قد أجل هذه الخطوة إلى ما بعد وفاة أفلاطون ولكن ذلك يعد سببا ضعيفا ؛ لأن أفلاطون كان يترك لطلابه والمنسويين فى الأكاديمية فى متابعة أبحاثهم المستقلة وتنمية فروضهم الخاصة دون تدخل وأن دوره بينهم كان دور الموجه والمستشار. ومن ثم فإته من الصعب أن نقول أن الاختلافات العقائدية مع أفلاطون أدت إلى رحيل أرسطو العاجل من الأكاديمية بل ومن أثينا^٢. علاوة على ذلك فإن اكزينو قراط وديموس وايدوكسوس وأعضاء آخرين من الأكاديمية كانوا لا يتفقون مع بعض مبادئ أفلاطون دون أن يجدوا ذلك ضروريا لقطع ارتباطهم بالأكاديمية^٣. ويرى البعض أن رحيل أرسطو كان بسبب شئون الأكاديمية نفسها ؛ لأنه فى السنة نفسها التى دمرت فيها ستاجيرا توفى أفلاطون وترك رئاسة الأكاديمية لابن أخته سيبوسيس الذى لم تكن له نفس مكانة أرسطو العلمية وربما نظر أرسطو فى ذلك إلى أن أفلاطون قد تخطاه وأن رئاسة الأكاديمية كان يجب أن تؤول إليه . ومع ذلك ربما لم يكن هذا هو أساس الاختلاف ؛ لأن من الطبيعى فى مثل هذه الظروف فى أثينا أن يتولى أحد أقرباء المتوفى الوصاية على ممتلكاته وأسرته ، ومن ثم يبدو أن السبب هو اتجاه سيبوسيس إلى تحويل الفلسفة إلى رياضيات^٤.

لا شك أن أرسطو كان يمر بأزمة نفسية شديدة فى هذا الوقت نتيجة لوفاة أستاذه ، وتدمير مسقط رأسه ، وتخطيه فى رئاسة الأكاديمية ، وأنه مازال ينظر إليه كإنسان غريب داخل مدينة أثينا التى قضى فيها عشرين عاما فضلا عن نظرات الشك وأصابع الاتهام بتعاطفه مع المقدونيين أعداء أثينا .

^١Grayeff, Aristotle, pp.26,27.And See Also: Ross, Aristotle, p.3; Chroust, Aristotle, I,

وأبضا : يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ١١٢ ، ١١٣ ؛ محمد فتحى ، المرجع السابق ، ص ٢.

^٢Chroust, Aristotle, p.118.

^٣Ibid , p.118.

^٤Ross, Aristotle, p.3 .

سابعاً : النشاط العلمى لأرسطو فى جزيرة أسوس ولسبوس :

وفى ظل هذه الظروف القاسية التى كان يمر بها أرسطو وصلته دعوة من هرمياس Hermias أمير أسوس وأتارينوس الذى كان زميلاً قديماً لأرسطو فى الأكاديمية . والواقع أن هذه الدعوة قد وصلت فى الوقت المناسب لأرسطو ، وزاد من سعادته بها أنها تتضمن أيضاً دعوة اكسينوقراتس لمصاحبة أرسطو فى هذه الزيارة^١ . ولكن ما هو السبب فى أن أرسطو فى سنة ٣٤٨-٣٤٧ ق.م قد استجاب لدعوة هيرمياس ولم يتوجه إلى أى من مقدونيا أو خالكيس أو حتى ستاجيرا . وللإجابة على ذلك هناك عدة احتمالات منها أن بروكسينوس Proxenus - الذى كان وصياً على أرسطو وزوجاً لأخته - كان صديقاً لهرمياس ومن نفس بلدته . ومن ثم فقد نشأت بعض العلاقات الشخصية والروابط العائلية بين عائلتى أرسطو وهرمياس ، كما كان يوجد اثنان من أعضاء الأكاديمية السابقين يعملان فى خدمة هيرماس ؛ ولذلك فقد توقع أرسطو أن يجد الترحيب المناسب من زملائه السابقين^٢ . أما لماذا لم يذهب إلى خالكيس حيث يمتلك منزلاً من أسلافه لأمه فذلك لأن الأحوال السياسية فى المنطقة لم تكن مناسبة لذلك ؛ فبتحريض من فيليب المقدونى ثارت جزيرة ايوبيا Euboea للتخلص من السيطرة الأثينية ، وجرت محاولة فاشلة من أثينا لاستعادة الجزيرة . وفى ضوء عدم الاستقرار السائد فى المنطقة ، ربما فضل أرسطو عدم الذهاب إلى خالكيس . أما ستاجيرا حيث منزل أسلافه لأبيه فقد دمرها فيليب ؛ من ثم لم يكن بمقدوره العودة إلى مسقط رأسه الذى كان انقاضاً^٣ . أما لماذا لم يتوجه أرسطو إلى مقدونيا وهو الصديق الشخصى للملك فيليب وللأسرة الحاكمة . فربما كان ذلك لأن أرسطو لم يتلق دعوة رسمية من الملك فيليب للانضمام للبلات الملكى فى بيلا ، وأنه كره أن يطلب ذلك بنفسه . ومع ذلك فمن المحتمل أن يكون

^١ The Geography of Strabo, VI, translated by Horace Leonard Jones, Harvard University Press, London, 1939, P.117 .

And See also: Diogenes Laertius, The Lives of Philosophers, I, P 447 .

وأيضاً : د.أميرة مطر ، الفلسفة عند اليونان ، دار النهضة العربية ، ط٢ ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٢٤٨ .

^٢ Chroust, Aristotle, p.119, And See Also : Fuller, Greek Philosophy, III, p.7.

^٣ Ibid., I, pp.119,120.

أرسطو قد قام بزيارة قصيرة لمقدونيا على نحو ما كان يقوم به قبل ذلك ، وهناك ربما تشاور مع الملك فيليب ورجال بلاطه في الشئون السياسية الراهنة ، و ليس من المستبعد أن يكون فيليب الذى كان يخطط لفتح تراقيا وربما لغزو فارس أو على الأقل آسيا الصغرى ، قد اقترح عليه أن يتوجه إلى هرمياس أمير اتارينوس وأن يكون عينا لمقدونيا وعميلا سياسيا لفيليب لأن إمارة هرمياس كانت تحتل موقعا مناسباً لأهدافه^١ فهي ليست بعيدة عن الهلسبونت ، ومن ثم يمكن أن تكون قاعدة مناسبة لتطويق تراقيا، كما تعتبر رأس جسر لغزو آسيا الصغرى والهجوم على فارس التى كانت تعاني آنذاك من اضطرابات داخلية خطيرة . على أية حال هذه كلها افتراضات لا يوجد ما يؤكدها^٢ .

بعد وصول أرسطو إلى أسوس تغيرت سياسة هرمياس تماما وتحول تأييده إلى فيليب ، وعقد معه معاهدة عسكرية سرية^٣ . وفى الوقت نفسه تقريبا أنعم على أرسطو بضمه إلى عائلته وذلك بتزويجه من ابنة أخيه وابنته بالتبنى بيثياس Phthias^٤ . ولا شك أن هذا الزواج يعد زواجا سياسيا لأن هرمياس اعتبره ممثلا وسفيرا لفيليب باعتباره أحد أفراد البلاط المقدونى^٥ . وقد جلب هذا الزواج الكثير من الفوائد لأرسطو فمن خلاله ارتفع إلى مرتبة أمير ، وحصل على ثروة تتناسب مع وضعه الجديد . وفى غمرة ذلك لم ينس أبدا أنه يدين بذلك إلى زواجه من ابنة هرمياس، فكان يعاملها دائما باحترام وتقدير كأميرة ، وعندما توفيت بعد عشر سنوات من زواجهما بنى لها ضريحا فى بيته وقدم لها القرابين كما لو كانت إلهة صعدت إلى السماء ، وأنجب منها بنتا حملت اسم أمها بيثياس ، وظل أرسطو وفيها لزوجته فلم يتزوج بعد وفاتها ، مع أنه أقام علاقة جديدة مع سيدة من

^١ Grayeff, Aristotle, p.28 ;And See Also: Chroust, Op.Cit, I,p.120; Fuller, Op.Cit , III,p.9.

^٢ Chroust, Op.Cit , I,p.120;And See Also : Fuller, Greek Philosophy, III, p.9.

^٣ Grayeff, Op.Cit , p.28 .

وأبضا : د. محمد فتحى ، مترجمو وشراح أرسطو ، ص ٣ .

^٤ Strabo, Geography, VI,PP.115,117 .

^٥ Grayeff, Aristotle, p.29.

مدينة ستاجيرا تدعى هيربليس Herpyllis التي أنجبت له ابنه نيقوماخوس ، ولكنه لم يجعل أبدا من رفيقته الثانية زوجة شرعية^١ . ولكن ما الذي حدث في أسوس أثناء إقامة أرسطو هناك ؟

ظل هرمياس يحكم إمارته طوال عشرين عاما بدعم من الفرس ، ونتيجة لتأثير أرسطو كان يعد للتراجع عن هذه العلاقة . وبدأت الحكومة الفارسية تتشكك في نواياه ، وبعد تردد لها حيناً قررت التدخل العسكري ، وأرسلت جيشاً فارسياً إلى أسوس ، وتحصن هرمياس في عاصمته ، ولم يتمكن القائد الفارسي من اقتحامها ، فاحتال على هرمياس ودعاها للاجتماع للتفاوض ، وبمجرد خروجه من القلعة تم إلقاء القبض عليه واقتيد إلى فارس حيث تمت محاكمته وتعرض للتعذيب ، وعلى الرغم من ذلك لم يقدم على خيانة أصدقائه المقدونيين ، ومع أنه لم يعترف بأى شيء فقد أدانوه ونفذوا فيه حكم الإعدام^٢ . ومهما يكن من أمر فقد رتب أرسطو أمر خروجه من أسوس مع زوجته وخدمه ومجموعة الفلاسفة الذين كان يضمهم بلاط هرمياس ، وتم الإبحار بهم إلى جزيرة ليسبوس Lesbos المجاورة .

تكونت في أسوس حلقة علمية من فلاسفة البلاط وعندما وصل أرسطو إليهم وبدعم من هرمياس تولى رئاسة المدرسة . ومن المؤكد أنه كان يعاونه هيئة من المساعدين ، وربما انضم أكسينوقراط إلى هيئة المدرسة لبعض الوقت ؛ لأنه وصل إليها مع أرسطو ولكنه لم يمكث معه طويلاً. ومن ثم فإنه يمكن القول أن تنظيم أرسطو للعمل المتواصل للعديد من الدارسين والعلماء كان مقدمة للإجاز العظيم الذي تحقق فيما بعد وخاصة الدراسات البيولوجية حيث تحتوى هذه المجموعة " **Historia Animalium** " على الكثير من الملاحظات التي تشير إلى الأماكن الواقعة بالقرب من

^١Edel , Aristotle, p.24; And See Also; Grayeff, Op.Cit , p.29 .

وأيضاً : د.أمره مطر ، الفلسفة عند اليونان ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

^٢Grayeff, Op.Cit , p.29, And See Also: Robin , Aristotle, p.5; Grote, Aristotle, p.5; Edel , Aristotle, p.24; Fuller, Greek Philosophy, III,p.10; Allan, Aristotle, pp.3,4; Chroust , Aristotle, 1, p.161.

وأيضاً : د.مصطفى عال ، أرسطو ، ص ٢٠ .

أسوس ولسبوس^١ . وإن كان هناك من رأى بأن قيام أرسطو بالأبحاث العلمية فى أسوس كان بهدف التمويه على الفرس وخذاعهم وإقناعهم بأن مهمته مهمة علمية وليست مهمة دبلوماسية^٢ .

أقام أرسطو فى لسبوس منتظرا الفرصة المواتية لمتابعة رحلته إلى مقدونيا، ويبدو أن إقامته فى لسبوس لم تتجاوز العام الواحد . وعلى الرغم من أنه لا توجد معلومات مباشرة عن إقامته فى لسبوس فإن كتاب تاريخ الحيوان يبين أن الدراسات فى البيولوجى وعلم الحيوان قد بدأت فى أسوس واستمرت على نطاق واسع وفى لسبوس أيضا قام أرسطو بتوجيه فريق عمله لمتابعة العمل حتى بعد رحيله عن الجزيرة . ولهذه الدراسات التى تتطلب عددا كبيرا من المساعدين مثل صيادى الحيوانات وصيادى الأسماك يجب أن يستمر لعدد من السنين ، علاوة على ذلك فمن المعروف أن هذه الحملة العلمية قد مولتها مقدونيا بحوالى ثمانمائة تالنت^٣ . وفى بداية العمل استعان أرسطو بنفس المجموعة التى ساعدته فى أسوس ثم انضم إليه ثيوفراتس وهو أحد مواطنى لسبوس كما كان تلميذا لأفلاطون وزميلا لأرسطو ، ولكنه كان يصغر أرسطو بخمسة عشر سنة ، وقد أثبت ثيوفراتس أنه أحد أهم المساعدين الذين يدينون بالولاء لأرسطو ، وهو الذى خلفه فى رئاسة مدرسته^٤ .

^١ Grayeff, Aristotle, p.30 .

^٢ Chroust , Aristotle, 1, p.162 .

^٣ Athenaeus, The Deipnosophists ,translated by Charles Burton Gulick, in seven volumes, Harvard University Press, London, 1993, IV,P305;Grayeff, Aristotle, p.31 .

النالت عملة نفايه يوايه تساوى مائه وخمسة وعشرين رطلا من الفضة .أنظر : موسوعة التراث الانسانية ، " الأخلاق النيقوماخية " ، د. أميرة مطر ، ح٦، وزارة الثقافة والإرشاد ، القاهرة (١٩٨٤) ص ٣٢١ .

^٤ Fuller, Greek Philosophy, III,p.8;And See Also: Edel , Aristotle, p.25, Ross, Aristotle, pp.3,4.

ثامنا : مشاركة أرسطو فى الإشراف على تعليم الإسكندر :

يبدو أن أرسطو عاد إلى مسقط رأسه فى ستاجيرا ولكنه فى سنة ٣٤٣/٣٤٢ ق.م قبل دعوة فيليب المقدونى للإشراف على تأديب ابنه الإسكندر الذى كان فى الثالثة عشر من العمر^١ . وحصل أرسطو على الفرصة التى طالما تافت نفسه إليها لتعليم الملك الفيلسوف^٢ وقوبل أرسطو بكل ترحيب واحترام ، كما حاز على ثقة الملك فيليب وزوجته أولمبياس^٣ .

وسواء حضر أرسطو إلى مقدونيا بناء على دعوة من فيليب أو من تلقاء نفسه ، فالواضح أنه سافر عبر خالكيدىكى ، وزار مسقط رأسه ستاجيرا التى دمرها فيليب . وتمكن من إقناع الملك المقدونى بإعادة بناء المدينة والسماح لسكانها المعاقبين بالعودة . بل يمكن القول إن المنفيين هم الذين طلبوا منه أن يتوسط من أجلهم^٤ وأن أرسطو قد استفاد من طلبهم هذا ليكون ذريعة للسفر إلى مقدونيا^٥ .

وكان من الطبيعى أن يكون للإسكندر الكثير من المعلمين والمؤدبين ، وقد تولى خاله ليونيداس Leonidas الإشراف الرسمى على تعليمه ، بينما تولى الفيلسوف ليسماخوس الإشراف الفعلى ولم يكن أرسطو بأى حال هو الفيلسوف المسئول؛ وفى أفضل الأحوال كان أرسطو واحدا ممن يدرسون أحيانا للإسكندر ، خصوصا أنه كان يوجد بالبلاط أحد فلاسفة السوفسطائيين الذى أسند إليه تعليم جيل الشباب^٦ .

^١ Plutarch's Lives, VII,P.241. And See Also: Edel, Aristotle, p.25; Veatch, Aristotle, p.6; Copleston History of Philosophy, I, p.267; Ferguson , Aristotle, p.21; Kerferd, Aristotle, PP.151,152.

^٢ Edel , Aristotle, p.25 .

^٣ Chroust, Aristotle, I,p.126.

^٤ Plutarch's Lives, VII,P.241;And See Also : Ross, Aristotle, p.4; Fuller, Greek Philosophy , III, p.10; Grote, Aristotle, p.6; Shute, History of the Aristotlian Writings, P.76.

^٥ Diogenes Laertius The Lives of Philosophers,1, p.447 .

^٦ Grayeff, Aristotle, pp.32,33 .

وباختصار فإنه يجب البحث عن سبب إقامة أرسطو في مقدونيا التي دامت سبع سنوات في مجال السياسة وخصوصا ما يتعلق بخطط فيليب لتوحيد بلاد اليونان تحت قيادته . ومازالت أثينا هي أكثر مدن اليونان تأثيرا ويمكن أن تكون أخطر المعارضين لسياسته أو أهم حلفائه . ومن ثم فقد تركزت سياسة فيليب على اكتساب أثينا إلى جانبه بالوسائل السلمية إذا أمكن ، ولسنا في حاجة إلى مناقشة الأساليب الدبلوماسية والإجراءات الاقتصادية التي اتخذها لهذا الغرض ، ولكن المهم هو سياسته الثقافية في أثينا ، حيث كانت مدرسة أيزوقراط متعاطفة مع جهوده بسبب نزعتها الهلينية وتحررها من النزعات الإقليمية ، وكان أيزوقراط يرى فيليب بطلا لليونان وأن بإمكانه أن ينشر الحضارة اليونانية بين العالم المتبربر وكانت الأكاديمية على النقيض تساعد أثينا وسياستها الوطنية، واتجهت لتأييد حزب ديموستينيس Demosthenes المناهض لمقدونيا . وعندما حاصر فيليب بيزنطة ذهب كليون Cleon أحد أعضاء الأكاديمية إلى المدينة وأشعل روح القتال بين السكان وفشلت جهود فيليب للاستيلاء عليها^١ . ومن ثم فإذا ما غيرت الأكاديمية سلوكها ، وإذا ما تولى إدارتها الرجل الذي يحوز بثقة فيليب فإن ذلك يعود بفائدة عظيمة على الملك . لقد كانت أثينا يونان اليونان وكان أرسطو عضوا بالأكاديمية لمدة عشرين عاما ، عمل مع أعضائها ويعرف أثينا جيدا . ولما تقدمت السن بسببسيبوس طفت على السطح مسألة خلافته ، ولاشك أن أرسطو تم الترحيب به في البلاط المقدوني، وتلقى المساعدة بكل طريقة ممكنة على أمل أنه عندما يحين الوقت قد يحظى برئاسة أكاديمية أثينا^٢ . ذلك هو الغرض من إقامة أرسطو في مقدونيا والعمل الذي يعد نفسه لتحمله.

وفي سنة ٣٣٩/٣٤٠ ق.م دخلت العلاقات بين مقدونيا وأثينا مرحلة جديدة، وحاولت أثينا إقامة تحالف مع طيبة لمواجهة مقدونيا ، وفي هذا التوقيت توفي سببسيبوس ، وفي الحال تجمع أعضاء الأكاديمية لانتخاب الرئيس الجديد ، وكان أرسطو مرشحا للمنصب ، ولكن لم يتم انتخابه

^١Ibid., p.33.Ellis, Philip, II,pp.182,183.

^٢Grayeff, Aristotle, p.33.

على أساس أنه يعيش في مقدونيا وتم اختيار اكسينوقراط^١ . ويمكن القول بأن فيليب منذ ذلك الوقت قد استبعد كلا من الأكاديمية والفلسفة من حساباته السياسية ، ومع ذلك فإذا كان أرسطو قد فقد الخطوة عند فيليب فإنه لم يكن بدون أصدقاء في مقدونيا وعمل على كسب ثقة أصحاب النفوذ الآخرين ومن بينهم انتيباتر Antipater أحد جنرالات البلاط ونائب الملك في مقدونيا فيما بعد^٢ . بل وصلت الجرأة بأرسطو أن يشارك في الانقسامات الداخلية التي حدثت في مقدونيا مؤيدا معسكر الإسكندر وأمه أولمبياس ضد معسكر فيليب ، وعمل الإسكندر على إعلاء شأن أرسطو ، وصارت له الخطوة طوال حياة الإسكندر . وازداد تأزم الموقف بازدياد العداوة بين الإسكندر ووالده عندما قام فيليب بالانفصال عن أولمبياس والزواج بامرأة جديدة^٣ . على أية حال لم يستمر هذا الوضع طويلا فقد تم اغتيال فيليب واعتلاء الإسكندر للعرش .

عمل الإسكندر بسرعة للقضاء على الثورات التي قامت ضده ، وفي خلال عام خضعت له أثينا . وبادر بتبنى سياسة الصداقة التي اتبعها فيليب ، فالنفوذ المقدوني يجب أن يتغلغل بهدوء وسلام^٤ . وإذا كانت الأكاديمية قد تغلبت على كل محاولات التدخل في مبادئها وإدارتها ، وأنها مازالت تحت قيادة اكسينوقراط .

تاسعا : العودة إلى أثينا وإنشاء الليكيوم :

كانت أثينا لاتزال هي التي تحتضن عملية التعليم وقد أرسل إليها أرسطو ليس بهدف إعادة تشكيل الأكاديمية ولكن ليفتح مدرسة جديدة قد تتفوق بإنجازاتها على الأكاديمية^٥ . عاد أرسطو إلى أثينا في سنة ٣٣٥ ق.م بعد اثني عشر عاما بشكل مثير للالتباه ، فقد عاد ومعه أعداد ضخمة من

^١Edel, Aristotle, p.25;And See Also: Grayeff, Aristotle, p.35.

^٢Grayeff, Op. Cit., pp.35,36;And See Also: Ross, Aristotle, p.5; Edel, Aristotle, p.27; Fuller, Greek Philosophy, III,p.10, Chroust, Aristotle , I , p.150 .

^٣Fuller, Op. Cit., III,p.15; And See Also: Grayeff, Aristotle, p.36.

^٤Grayeff, Aristotle, p.36 .

^٥Ibid., Aristotle, p.36 .

الكتب^١ وكميات هائلة من الأدوات التعليمية والخرائط ، وهيئة من المساعدين ، ربما كان ثيوفراستوس أكثرهم أهمية . أما على المستوى الشخصي فكان مظهره في غاية الفخامة والأناقة ابتداء من الثياب الثمينة والخواتم الذهبية في كل أصابعه وانتهاء بكثرة الخدم القائمين على خدمته حتى أنه كان يبدو كالأمراء^٢ . والمؤكد أنه لم يعد في هيئة السوفسطائي الجوال ولكن بصفته رجل الإسكندر سيد بلاد اليونان^٣ .

استفاد أرسطو من التغيير الحكومي الذي حدث في أثينا بانضمام الخطيب ليكورجوس Lycugus إلى الحزب الحاكم المؤيد لمقدونيا ولما كان أرسطو أجنبيا عن أثينا فلم يكن يحق له التملك فيها ، ومن ثم قامت الحكومة الأثينية بقيادة ليكورجوس بتوفير المكان المناسب لمشروعه ، وهو بستان مخصص لأبولوليكيوس Apollolyceus الذي يقع إلى الشمال الشرقي من وسط أثينا بين جبل ليكابيتوس Lycabettus ونهر إلسيوس Ilissus وهي نفس المنطقة التي كان يحبها سقراط^٤ . وفيها معابد ومزارات لأبولو وربات الفنون وبعض الملحقات الصغيرة . وقام ليكورجوس بإنفاق مبالغ ضخمة في تزيين المعابد والأضرحة ، وأقام صفان من الأعمدة المسقوفة يؤديان إلى معبد أبولو أو ربما ليربط المعبد بضريح ربات الفنون^٥ .

^١ يقال إن أرسطو هو أول من أسس مكتبة ضخمة في تاريخ اليونان ، وصارت مثلا للمكتبات العظمى في الإسكندرية وبرهاموم .

Terrence N.Tice and Thomas P.Slavens, Research Guide to Philosophy, Chicago, 1983, P.34.

^٢ Grayeff, Aristotle, p.37;

يوصف أرسطو بأنه كان طويل الساقين نحيفهما : ذو عينان صغيرتان ، قصير شعر الرأس ، متأنقا في ملسه ومظهره

Diogenes Laertius The Lives of Philosophy,1,p.445;And See Also: Ross, Aristotle, p.7; Barnes, Aristotle , p.1, Grote, Aristotle, p.16.

^٣ Grayeff, Aristotle, p.37; And See Also : Chroust, Aristotle,I, p141.

^٤ Ross, Aristotle, p.5; And See Also : Robin, Aristotle , p.6. Grayeff, Aristotle, p.38; Ferguson , Aristot.le, p.21; Fuller, Greek Philosophy, III, p.17 .

وأیضا : د.أميرة مطر ، الفلسفة عند اليونان ، ص ٢٥٠ .

^٥ Grayeff, Aristotle, p.38; And See Also : Ferguson , Aristotle, pp.21; Edel, Aristotle, p.26 .

والطريف فى الأمر أن صف الأعمدة هذا أو ما يطلق عليه الممشى قد وهب المدرسة اسمها، إذ يبدو أن الطلاب كانوا يجتمعون فى هذا الممشى ويتلقون دروسهم فيه ويتجولون مع أساتذتهم ، ولهذا السبب قيل إن أرسطو كان يدرس ويلقى محاضراته بينما يتمشى جيئة وذهاباً^١ .

وظالما أن كل متطلبات إنشاء المدرسة قد تم إعدادها مقدما فيمكن القول إن المشروع قد تهيأت له فرص النجاح والازدهار منذ البداية . ثم بدأت أعداد كبيرة من الطلاب يتجمعون فى الليسيوم ، فيقول زينو الرواقى إن مدرسة المشائين بها من الطلاب أكثر مما فى مدرسته كذلك يقدر ديوجين لارتس أن ثيوفراستوس خليفة أرسطو كان عنده ألفى طالب ولا شك أن يدموس الروديسى قد انضم إلى هيئة التدريس بعد إنشاء المدرسة مباشرة^٢ .

وقد ضمت المدرسة أعدادا كبيرة من أبناء أصحاب السلطة والنفوذ فى العالم اليونانى من بينهم ابن انتيباتر نائب الملك فى مقدونيا^٣ . وديميتريوس ابن حاكم أثينا السابق ، ولاشك أيضا أن المسرحى الشهير مناندر قد درس على أيدى ثيوفراستوس ، هذه عينة فقط لأكثر الناس تميزا الذين درسوا فى مدرسة المشائين. وقد تخرج منها الخطباء والقادة ورجال الدولة والرياضيون والشعراء والموسيقيون والأطباء .

ونتيجة الشهرة التى حققتها مدرسة المشائين فى أثينا صارت تؤسس المدارس على نسقها وتحمل اسمها فى المدن وبلاط الأمراء فى كل أنحاء العالم اليونانى^٤ .

ومن ثم فقد حققت المدرسة الجديدة آمال الإسكندر كمؤسسة لتعليم شباب كل العالم اليونانى لإذكاء الروح الجديدة التى ظهرت مع الفاتح العظيم .

^١ Cicero,XIX De Natura Deorum Academica,With an English translation by H.Rackham, London 1994,P427.

And See Also : Grayeff, Aristotle, p.38. Allan , Aristotle, p.5; Grote, Aristotle, p.7.

^٢Grayeff, Op. Cit., p.38.

^٣Allan , Aristotle, p.5 .

^٤Grayeff, Aristotle, pp.38,39.

تنافست المدرسة مع الأكاديمية التي كانت تسعى إلى المساواة معها أو التفوق عليها . ويمكن أن يتساءل البعض كيف يمكن لمدرسة المشائين أن تتفوق على الأكاديمية ؟ لم يكن ذلك من خلال الفلسفة بطبيعة الحال لأن مدرسة المشائين قد تأسست وفقا للفكر الأفلاطوني . فقد قامت بتدريس الأفلاطونية كما فعلت الأكاديمية وإن كانت أفلاطونية معدلة^١ . ومن ثم فإن مدرسة المشائين المتفوقة كان عليها أن تعلن عن نفسها بطريقة مختلفة ؛ التجول وكثرة أعداد الطلاب والمناهج التي يمكن أن تقدمها المدرسة بفضل مصادر التمويل الهائلة . فقد كان يدرس فيها بجانب الجدل الفلسفي كل العلوم المعروفة في ذلك الوقت بالإضافة إلى الخطابة بكل مجالاتها . ومن ثم فإن قائمة الموضوعات الدراسية بمدرسة المشائين لم تقتصر فقط على تلك التي كانت تدرس في الأكاديمية ، ولكن ما كان يدرس أيضا في مدرسة أيزوقراط ، بل كانت مناهجها أكثر مما يدرس في الاثنين معا . ولم يحدث أبدا قبل ذلك أن قام معهد واحد بمثل هذه الدراسات^٢ . ازدهر الاقتصاد الأثيني نتيجة لفتوحات الإسكندر وتوقفت عن مقاومة السيطرة المقدونية لتتعم بالرخاء الذي بدأ يعم بلاد اليونان . وقد صاحب الازدهار الاقتصادي تغيرات اجتماعية هامة فأينما ذهب الإسكندر قام بتأسيس مدن جديدة ، ومن ثم فقد خرجت أعداد هائلة من اليونانيين لبناء المدن الكبيرة على شواطئ البحار وضاف الأثرياء وحقق المهاجرون الجدد الثروة ، وصاروا يشكلون الطبقة العليا في الإمبراطورية . وقدمت لهم الحكومة الدعم اللازم لهيئة العالم الجديد الذي فتحه الإسكندر .

وقد قامت المدرسة بمهامها السياسية والاجتماعية لتتلاءم مع احتياجات الطبقة العليا في المستعمرات وأنتجت كما هائلا من الأدب الشعبي للعمل على تعريف هؤلاء المقيمين في الخارج بفكر وثقافة الوطن الأم^٣ . وهكذا حقق أرسطو في وقت قصير إنجازات ونتائج مذهشة ، فقد أنشأ مدرسة جديدة حققت للمجتمع أعلى احتياجاته وصمم مناهجها وبرامج الأبحاث ، وقام بإدارتها وتنظيمها ببراعة حتى أنها اجتذبت الطلاب من جميع بلاد اليونان ، وأعطاهم شخصيتها واتجاهها القائم على

^١ Copleston, History of Philosophy, I,p.275; And See Also : Grayeff, Op. Cit., p.39 .

^٢ Grayeff, Aristotle, p.39.

^٣ Ibid., p.41.

الأفلاطونية ، على الرغم من تحركها نحو العلوم التجريبية . وأثبتت مدرسة المشائين أنها الحارس الأمين على التقاليد الأفلاطونية أكثر من الأكاديمية نفسها^١ . علاوة على ذلك كان عليه كرئيس للمدرسة أن يتوافق مع المتغيرات السياسية والاجتماعية في بلاد اليونان ، وعليه فقد اتخذ مسلكا وسطا بين رغبات الاتيين ومصالح المقدونيين . والحقيقة أنه استطاع أن يقيم علاقات طيبة مع الحكومة الأثينية ، وعلاقات متجانسة مع الأكاديمية كما استمرت علاقاته الطيبة مع أنتيباتر نائب الإسكندر^٢ ، وظل على اتصال من حين لآخر بالإسكندر . بالإضافة إلى ذلك كتب عددا كبيرا من الكتب والأبحاث ؛ لأن أرسطو بعد عودته من مقدونيا بدأ مباشرة في أعماله البحثية ، ولا شك أن الدراسات البيولوجية التي كان قد بدأها في أيوس وتابعها في لسيبوس لم تستمر في مقدونيا والدليل على ذلك خلو كتاب تاريخ الحيوان من إشارات إلى المدن المقدونية .

ومن ثم فإن أرسطو قد بدأ في صياغة المادة العلمية التي سبق جمعها عن تاريخ الفلسفة والعلم وعن الشعر والشعراء المبكرين ، وربما أيضا عن تاريخ المدن وبنائها ، كما بدأ في دراسته النقدية لنظرية الأكاديمية (عن المثل)^٣ .

وقد حضر أرسطو خلال هذه السنوات في المنطق والطبيعات والفلك وعلم القياس وعلم الحيوان وما وراء الطبيعة ونظرية اللاهوت وعلم النفس والسياسات والاقتصاد والأخلاق والخطابة والشعر ، وكتب هذه المحاضرات ونقحها وأضاف إليها إلى أن وصلت إلى الشكل التي هي عليه الآن^٤ . وكان أرسطو يجتمع بطلابه في أروقة المدرسة أو بين الأشجار ، ويناقش معهم القضايا التي يطرحها ويجاوب على تساؤلاتهم . وفي فترة ما بعد الظهر أو في المساء يحاضر في الموضوعات العامة لجمهور المدرسة^٥ .

^١ Grayeff , pp.42,43 .

^٢ Ibid., p.43.

^٣ Ibid, p.34 .

^٤ Ibid, p.43 .

^٥ Ross, Aristotle, p.5; And See Also: Barnes, Aristotle, p.5; Fuller, Greek Philosophy, III, p.18.

وقد وضع أرسطو دستوراً للعمل به داخل المدرسة ، فعلى سبيل المثال يتناوب الأعضاء فى إدارة المدرسة كل عشرة أيام ، ومعنى ذلك أن الشخص الذى يتولى دور الرئيس خلال تلك الفترة عليه الدفاع عن الآراء والنظريات العلمية للمدرسة فى مواجهة الوافدين والمعارضين^١ ، وأن يجتمع أعضاء المدرسة للعشاء معا ، وأن تقام مأدبة مرة فى كل شهر^٢ . وقد انقسم أعضاء المدرسة إلى فئتين هما : الشيوخ الذين ينتخبون رئيس المدرسة ، والفتيان الذين ينظمون ولاءم عامة مع مطلع كل قمر جديد يدعى إليها أشخاص من غير المنتسبين إلى الرابطة^٣ .

عاشرا : وفاة الإسكندر ورحيل أرسطو عن أثينا :

فى سنة ٣٢٣ ق.م توقفت أعمال أرسطو فجأة فى أثينا . فقد توفى الإسكندر وتفككت الإمبراطورية التى بناها ، وتحررت أثينا من جديد . وعادت العداوة القديمة لمقدونيا فى الظهور وتم استدعاء الزعيم ديموستينوس من المنفى ، وتحمست أثينا وأعلنت الحرب على أنتيباتر ، وثار شعب شديد ضد المقدونيين ، وكان أرسطو أكثر من غيره عرضة للخطر ، ولم يعد بمقدوره البقاء فى أثينا، وفى الوقت المناسب خرج بمصاحبة عائلته^٤ . لم يكن خوف أرسطو ورحيله عن أثينا من فراغ فقد قام بعض أعدائه بإعداد وثيقة اتهام ضد أرسطو تمهيدا لتقديمه للمحاكمة سواء بسبب اتهامه بالخيانة والعمالة لمقدونيا أو بازدراء الدين ، فأثر ترك أثينا قائلاً : " لا أريد أن تخطئ أثينا مرة أخرى فى حق الفلسفة"^٥ . كما غادر أثينا أيضا مجموعة من مساعديه ممن استشعروا الخطر فتوجه يدموس إلى رودس ، وديكارخوس إلى البلوبونيز ، ولا يعرف بالضبط ما إذا كانت المدرسة

^١ Grote, Aristotle, p.7 .

^٢Ross, Aristotle, p.6; And See Also: Fuller, Greek Philosophy, III,p.19.

^٣ د. محمد فتحى ، مترحو وشراح أرسطو ، ص ١٩ .

^٤Ross. Op.Cit, P.6; And See Also: Grayeff, Aristotle, p.44 .

^٥Grote, Aristotle, p.16 ; And See Also: Ross, Aristotle, p.7; Fuller, Greek Philosophy, III, p.26, Robin , Aristotle, 7; Chroust, Aristotle, I, pp.147, 153

وأبضا : د. أميرة مطر ، الفلسفة عند اليونان ، ص ٢٥١ .

فد أغلقت أبوابها فى هذا الوقت ^١ . ولكن من المؤكد أنه لم تحدث خسائر فى مبنى المدرسة أو المكتبة أو أدوات التدريس ، ولا حتى البستان الذى صار مكانا شعبيا يلتقى فيه السوفسطائيون والفلاسفة بمعجبيهم ، أما أرسطو فقد وجد الملجأ فى خالكيس وفى جزيرة أيوبيا التى كانت تنعم بالأمن تحت السيادة المقدونية ، حيث توجد ممتلكات أجداده لأمه .

ولكن هل ظل أرسطو مثابرا على أبحاثه وكتاباتة فى خالكيس ؟ إن هذا تساؤل لا توجد إجابة عنه . وعلى أية حال أقام أرسطو فى خالكيس لمدة عام .

حادى عشر : وصية أرسطو :

توفى فى صيف ٣٢٢ ق.م وهو فى الثانية والستين أو الثالثة والستين ^٢ . ويبدو أن أرسطو كتب وصيته أثناء إقامته الأخيرة فى خالكيس ، وتكشف هذه الوثيقة جانبا كبيرا من شخصية أرسطو ومدى إنسانيته ، وعن كرمه وعطفه وشفقته ، وحرصه على أصدقائه . فقد أوصى بحسن معاملة عبيده وعدم بيعهم بل والعمل على عتق بعضهم وتحريرهم مع منحهم مبالغ متفاوتة من المال ^٣ أما الشروط التى تتعلق بأسرته وخاصة ابنته بيثياس من زواجه الأول فقد أوصى بأن تتزوج بمجرد أن تصل إلى السن المناسب للزواج من نيكاتور Nicanor ابن أخته أرمينست وزوجها بروكسينيوس ، اللذان سبقتا لهما الوصاية على أرسطو عندما كان قاصرا . وكانت ثروة بيثياس تتمثل فى الضيعة التى منحها لها هرمياس وربما كانت هذه الممتلكات فى مقدونيا أو مازالت فى أسوس التابعة للإمبراطورية التى تتزعمها مقدونيا وكان سببا إضافيا لأرسطو لى يعين النائب أنتباتر لىكون

^١ Grayeff, Aristotle, p.44 .

^٢ Diogenes Laertius, The Lives of Philosophers, 1, I, pp.444,451.

And See Also: Grayeff, Aristotle, pp.44,45 . Ross, Aristotle, p.7; Allan , Aristotle, p.5,6.

^٣ Ibid., 1 , p.459 .

وأىضا : محمد بن اسحق الديم المعروف اسحق بأبى يعقوب الوراق ، كتاب الفهرست فى أحبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم ، تحقيق رضا نجدد ، طهران ١٩٧١ ، ص ٣٠٨ .
انظر الص الكامل للوصية فى

- Chroust, Aristotle, I, pp.185-189 .

المنفذ الرئيسي للوصية^١ وأوصى أرسطو بأنه إذا حدث مكروه لبيثياس أو إذا توفيت بدون أولاد يكون نيكاتور هو الوريث لأملأها . وفي حالة وفاة نيكاتور يتولى ثيوفراستوس إذا سمحت له الظروف بنقل بيثياس إلى منزله ويتخذ القرار بتحويل ملكية الميراث إذا رغب في ذلك^٢ .

أما إذا كان ثيوفراستوس في موقف لا يسمح له بذلك فإن باقى الزملاء عليهم اتخاذ القرار بشأن الميراث بالتشاور مع أنتيباتر . ومهما حدث فإن الوصية قد صممت بحيث ألا يقع الميراث بأى حال من الأحوال فى أيدي الغرباء .

وبعد أن وضع هذه الترتيبات لابنته بيثياس عاد لتحديد حقوق رفيقته أو زوجته الثانية هيربلليس بأن يتولى نيكاتور رعاية كل شئونها . أما إذا رغبت فى الزواج فيجب أن يتأكد من أنها ستتزوج من شخص جدير بها . وبجانب ما تم تخصيصه لها فيجب إعطاؤها مازنته تالنتا واحدا من الفضة وأن تختار لنفسها ثلاث من الوصيفات بالإضافة للوصيفة والخادم اللذان فى خدمتها^٣ . ولها أن تختار بين المنزل الصغير والحديقة فى خالكيس أو منزل الوالد فى ستاجيرا . ويتم تأثيث المنزل الذى تختاره حسب رغبتها كما قام أرسطو بتعيين نيكانو وصيا على ابنه نيكوماخوس من زوجته هيربلليس . كما أوصى أيضا بأن يدفن بجانب زوجته الأولى^٤ .

كان أرسطو بارا بعائلته وبأصدقائه فقد أقام التماثيل لوالده ووالدته ولأخيه وأخته ولوالده بالتبنى وتمثال آخر لعبادة زيوس وأثينا . علاوة على ذلك تؤكد الوثيقة أن أرسطو كان على علاقة وثيقة بالبلاط المقدونى حتى النهاية فقد ائتمن أنتيباتر على وصيته ورغباته الأخيرة^٥ .

^١Diogenes Laertius,Op.Cit,1, p455 .

^٢Ibid., 1, pp.445,457 .

^٣Ibid., 1 , p.457.

^٤Ibid., 1 , pp.457, 459 .

^٥Ibid., 1 , p.459.

ومن اللافت للنظر أن وصية أرسطو لم تتضمن أية إشارة للمدرسة ، أو مكتبتها وخرائطها وأدواتها إما لأنه اعتبر مدرسة المشائين فى عداد المفقودات أو أنه أراد أن يتفادى توريث المدرسة وثيوفراستوس فى المتاعب بسبب ارتباطها باسمه .

على أية حال كان أرسطو رجلا عظيما ذو شخصية قوية ، كاتب لا يبارى ومفكر من الطراز الأول . رجل ذو معرفة واسعة وإدارى بارز، ومنظم موهوب مع مهارة دبلوماسية فائقة . كما أنه كان من أكثر الشخصيات إثارة للجدل فى عصره فقد اختلف سكان أثينا فى تقييمهم له على المستوى الشخصى ؛ لأنه على الرغم من إقامته الدائمة فى أثينا لمدة عشرين عاما فى أكاديمية أفلاطون إلا أنهم كانوا ينظرون إليه كشخص غريب عن المدينة ذو ميول مقدونية ، وعندما توطدت صلته بالبلاط المقدونى صاروا ينظرون إليه على أنه عميل بل وجاسوس للمقدونيين ، ومن ثم فإن المرتين اللتين غادر فيهما أثينا كان بسبب الشعور المتزايد بالكراهية تجاه المقدونيين ومؤيديهم . وعلى الجانب الآخر كان فريق من الأثينيين يرى أن أرسطو كان متعاطفا مع الأثينيين وأنه بذل قصارى جهده ووظف علاقاته الطيبة مع كل من فيليب والإسكندر من أجل مصلحة أثينا وإبعاد الضرر عنها . ولا شك أنه قام بجهد جبار فى سنة ٣٣٥ ق.م للحيلولة دون تدمير المدينة والحصول على العفو عن أهلها بل وإبرام المقدونيين معاهدة مع أثينا بشروط كريمة . وأنه بسبب هذه الأعمال الطيبة واعترافا من الأثينيين بالخدمات الجليلة التى قدمها أرسطو تم دعوة مجلس المدينة للانعقاد واتخذوا قرارا بتشريف أرسطو وتكريمه ، وسجلوا ذلك فى نقش على أحد الأعمدة الحجرية فى الأكروبول حيث سجلوا أن أرسطو الاستاجيرى ابن نيكوماخوس قد تفانى فى خدمة المدينة وأنجز الكثير من الأعمال النافعة وخاصة بسبب تدخله لدى فيليب والإسكندر لمصلحة مدينتهم - فإن سكان أثينا قد رغبوا أن يكون معلوما أنهم مقدرون وشاكرون للمصالح والمنافع التى عادت عليهم نتيجة لجهوده - حتى أنهم خلعوا عليه ألقاب التشريف والتمجيد ، وأنه يجب أن يخلد فى قائمة الشرف^١ .

^١Chroust, Aristotle, I,p.138 .

وعلى الرغم من هذا الشعور الطيب إلا أنه ظهر أحد الأثنيين يدعى ايماريوس
Aimaraeus وعارض ذلك بقوة ، وقام بإزالة نقش التشریف أو تحطيمه ^١

^١Ibid., I,p.170 .